زاد السائر إلى اللّه عزَّ وجلَّ

مقالات في إصلاح القلوب والثبات على السنة

تأليف

أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

غفر الله له ولوالديه وإخوانه وأزواجه والمسلمين

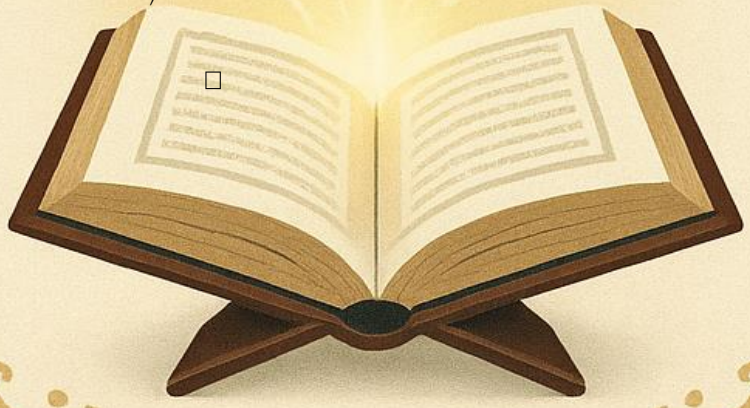

www.alukah.net
شبكة الألوكة

I am Sorry !!!!
شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه حمدًا يليق بجلاله وكماله، وأشكره على نعمه الظاهرة والباطنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل صلاح القلوب سببًا للفلاح، وربط النجاة في الدنيا والآخرة بالتمسك بكتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث رحمةً للعالمين، والدال على كل خير، والمحذر من كل شر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم ما يحتاجه المسلم في هذه الحياة: صلاح قلبه، واستقامة دينه، وثباته على الحق، فإن القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولا يكون صلاح القلب إلا بالتمسك بالوحيين: كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسير على منهج السلف الصالح الذين فهموا الدين فهمًا صحيحًا، وطبقوه في حياتهم علمًا وعملاً.

وقد كثرت في هذا الزمان الفتن والشبهات، وتسارعت فيه الأيام، وانشغل كثير من الناس بزخارف الدنيا وزينتها، حتى غفل بعضهم عن الغاية التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله عَزَّوَجَلَّ والاستعداد للقائه. فكان لزامًا على المسلم أن يجدد صلته بربه، وأن يعتني بإصلاح قلبه، وأن يحرص على اغتنام أوقاته فيما ينفعه في دنياه وآخرته.

ومن هنا جاءت فكرة جمع هذه المقالات، التي كنت قد نشرت بعضَها متفرقًا في الشبكة في أوقات مختلفة، وهي مقالات قصيرة في حجمها، لكنها تدور حول معانٍ عظيمة يحتاجها المسلم في حياته، من تذكيرٍ بالله، وحثٍّ على الطاعة، وترغيبٍ في الثبات على الحق، وتنبيهٍ على بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس.

وقد رأيت أن جمعها في مؤلف واحد أنفع للقارئ، وأقرب إلى الانتفاع بها، إذ تكون بين يديه مجموعة من المقالات المتنوعة التي تعالج قضايا الإيمان، وتذكّر بحقائق الدنيا والآخرة، وتدل على أسباب الثبات على دين الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد قُسِّمت هذه المقالات في هذا الكتاب إلى عدة أبواب، ليكون ترتيبها أقرب إلى الفائدة وأحسن في العرض.

فجاء الباب الأول في بيان أصول الهداية والثبات على الدين، واشتمل على بيان جملة من مسائل العقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، مع ذكر متنٍ مختصرٍ في الاعتقاد، وبيان أهمية التسليم للوحيين، والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والتحذير من الجرأة على النصوص، وذكر جملة من الوسائل التي تعين العبد على الثبات على دين الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما الباب الثاني فجاء في تزكية القلوب وإصلاح النفوس، وفيه مقالات تتحدث عن غذاء القلب ودوائه، ومراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، والتوكل عليه، والرجاء في رحمته، والاعتبار بحقيقة الدنيا، وضرورة تعلّق القلب بالقرآن الكريم.

وأما الباب الثالث فجاء في اغتنام الأوقات والمسارعة في الطاعات، حيث تذكّر مقالاته بسرعة مرور الأيام، وتحث على اغتنام العمر، والاجتهاد في الطاعات، ولا سيما في المواسم الفاضلة كشهر رمضان والعشر الأواخر منه.

وأما الباب الرابع فقد اشتمل على جملة من المقالات التربوية والتنبيهات المهمة التي تتعلق ببعض القضايا المعاصرة، والتنبيه على بعض الأخطاء، وذكر بعض المواقف والعبر والقدوات التي يستفيد منها المسلم في حياته.

والمقصود من هذه المقالات التذكير والوعظ والإرشاد، لا الاستقصاء ولا التطويل، فإن القلوب تحتاج بين حين وآخر إلى من يذكرها بالله، ويوقظها من غفلتها، ويعيد توجيهها إلى طريق الحق.

وأسأل الله الكريم أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلها سببًا في هداية من قرأها أو نشرها، وأن يكتب لنا وللقارئ الأجر والثواب.

كما أسأله سبحانه أن يصلح قلوبنا، وأن يثبتنا على دينه، وأن يجعلنا من أهل القرآن والسنة، وأن يجمعنا بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنات النعيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الباب الأول: أصول الهداية والثبات على الدين

إن أعظم ما يحتاجه المسلم في حياته هو أن يكون على بصيرة في دينه، مستمسكًا بالكتاب والسنة، سائرًا على منهج السلف الصالح الذين تلقوا هذا الدين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهموه الفهم الصحيح.

وفي زمن كثرت فيه الشبهات، وجرؤ بعض الناس على النصوص الشرعية، صار لزامًا على المسلم أن يعتني بأصول دينه، وأن يعرف الطريق الذي دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتمسك به تمسكًا يورثه الثبات والاستقامة.

وفي هذا الباب جملة من المقالات التي تبين بعض أصول الهداية ووسائل الثبات على دين الله، لعل الله أن ينفع بها ويجعلها سببًا في زيادة اليقين والتمسك بالحق.

متن مختصر في عقيدة أهل السنة والجماعة

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، العلي الأعلى، رب الأرض والسماء، أكمل لنا الدين، وأتمّ علينا النعمة، من علينا فهدنا وجعلنا من أمة خير المرسلين محمد بن عبدالله الصادق الأمين، والصلاة والسلام على آله الأطهار، وأصحابه الكرم أجمعين، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن عقيدة أهل السنة والجماعة مأخوذة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

وعقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق، وسط بين الغالي والجافي، قائمة على التسليم لنصوص الكتاب والسنة، والإيمان بالغيب.

ولا نعارض نصوص الكتاب والسنة بعقولنا وأهوائنا، ولا نرد شيئًا صح من سنة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقول أحد، أو نردها بحجة عرضها على القرآن؛ لكون ذلك لم يكن من عمل السلف، بل زعم عرض السنة على القرآن اعتمد على قول مكذوب موضوع زُعم أنه من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفيما يلي نذكر ما يعتقده أهل السنة والجماعة في أبواب الإيمان، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والجنة والنار، وما يلزمهم من حق لولاة الأمر، والولاء والبراء، وموقفهم من الفرق المخالفة للكتاب والسنة وهم أهل الأهواء والبدع، كالجهمية والخوارج، والرافضة، والصوفية، والمؤولة والمعطلة من المعتزلة والأشاعرة، والأحزاب العلمانية الديمقراطية، وكل جماعة تخالف كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

باب الإيمان

الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل، قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ولا يكفَّر المسلم بكل ذنب، إنما نكفره بالشرك وما في حكمه من أنواع الردة، كالتكذيب بما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الاستهزاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو

التكذيب بالقرآن الكريم، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بما دون ذلك إلا إذ استحله، كالزنا مثلًا والخمر والسرقة حرام ومن فعل شيء من ذلك فهو مرتكب لكبيرة من الكبائر، عاص لله عَزَّوَجَلَّ لكن إن استحل ذلك فهو كافر؛ لكونه مكذب للقرآن والسنة الصحيحة المتواترة، بل حتى لو لم يفعله لكن اعتقد حله كفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

ولا نقول في ذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولا في صفاته بغير دليل من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو ما صح في سنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأن كلها صفات كمال لانقص فيها بوجه من الوجوه، وأنها حُسنى، وأن القول في الصفات كالقول في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فلا نثبت ما قبلته عقولنا ونرد ما خالفها بل يكون الحجة في ذلك الكتاب والسنة الصحيحة، فإذا أثبتنا صفة العلم أو صفة القدرة مثلًا نثبت له كذلك الاستواء والنزول واليد والوجه وغيرها من الصفات الثابتة كما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

باب التوحيد

- **الربوبية**: (إفراد الله عَزَّوَجَلَّ في أفعاله)، فنُقر بأن الله جَلَّجَلَالُهُ ربُّ كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي والمميت، النافع، الضار، له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

- **الألوهية**: إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، والنفي والبراءة من كل معبود دونه سبحانه، فلا يُصرف شيء من العبادة لغيره جَلَّوَعَلَا، وهذا هو تحقيق كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)، وهذا التوحيد هو أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء:٢٥].

- **الأسماء والصفات**: إثبات ما أثبته الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١].

فنثبت ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه من الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة، فنثبت لله عَزَّوَجَلَّ اليد، والعين، والوجه، والسمع، والبصر، والرحمة، والقدرة، والمجيء، والعلو، والاستواء، والكلام، و...، وسائر الأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، مع نفي المماثلة والمشابهة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١].

والإثبات لا يلزم منه المشابهة والتمثيل كما يفهمه المعطلة فنقول: لزيد يد وله وجه، وللفيل يد ووجه، فلا يقول عاقل بأننا شبهنا يد زيد ووجهه بيد الفيل

ووجه، فهذا في المخلوق مع المخلوق ينتفي المشابهة والمماثلة، ولله المثل الأعلى سبحانه.

الإيمان بالملائكة

نؤمن بالملائكة الكرام، عباد الرحمن، خلقهم الله من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لكل منهم وظيفة.

الإيمان بالكُتب

نؤمن بجميع كتب الله عَزَّوَجَلَّ المنزلة، وأعظمها القرآن الكريم، وهو ناسخ لما سبقه من الكتب، وهو كلام الله سبحانه غير مخلوق، منزل من عنده، تكلم الله عَزَّوَجَلَّ به حقيقة كما يليق بجلاله، سمعه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ربه جَلَّوَعَلَا، وسمعه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبلغه للأمة.

الإيمان بالرسل

ونؤمن بجميع رسل الله عَزَّوَجَلَّ، أولهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وآخرهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده، وشريعته ناسخة لما قبلها، باقية إلى قيام الساعة، ونؤمن أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، رفعه الله إليه، وسيعود في آخر الزمان تابعًا لشريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقتل الدجال، ويقيم العدل.

الإيمان بالقدر

نؤمن بالقدر خيره وشره، وأن الله قد علم الأشياء وكتبها، وشاءها وخلقها، وكل ما في الكون بقضائه وقدره، وهو سبحانه عادل لا يظلم أحدًا.

الإيمان باليوم الآخر

١- **عذاب القبر ونعيمه**: ونؤمن بفتنة القبر، وسؤال الملكين، وبنعيم القبر للمؤمنين، وعذابه للكافرين والمنافقين، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يثبت المؤمن بالقول الثابت عند السؤال، كما أخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه، وثبت في السنة الصحيحة.

٢- **البعث والنشور**: نؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ يبعث الناس بعد موتهم، فيحييهم بعد فنائهم، ويجمعهم ليوم لا ريب فيه، فيحاسبهم على أعمالهم، قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٥-١٦].

٣- **الميزان**: نؤمن بالميزان يوم القيامة، وهو ميزان حقيقي له كفّتان، توزن به الأعمال، ويُوفّى الناس به أعمالهم بالعدل.

٤- **الصراط**: ونؤمن بالصراط المضروب على متن جهنم، يمرّ الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالرّيح، ومنهم من يمشي أو يزحف، ومنهم من يُخدش ثم يُنجّى، ومنهم من يُكردس في النار، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة.

٥- **الحوض والشفاعة**: نؤمن بحوض النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم القيامة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا.

ونؤمن بالشفاعة التي أكرم الله بها نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبشفاعة غيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصالحين والملائكة، بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ورضاه.

ونؤمن بجميع أنواع الشفاعة الثابتة في الكتاب والسنة، وأعظمها الشفاعة العظمى في أهل الموقف، وهي المقام المحمود، ومن ذلك: الشفاعة في فصل القضاء بين العباد، والشفاعة في أهل الجنة ليدخلوها، والشفاعة في أقوام من أهل التوحيد ألا يدخلوا النار، والشفاعة في أقوام دخلوها أن يخرجوا منها، وشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفع الدرجات، ولا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد، وبإذن الله عَزَّوَجَلَّ ورضاه.

٦- **رؤية المؤمنين ربهم**: نؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رؤيةً حقيقيةً بالأبصار، من غير إحاطة ولا كيف، كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣].

ونؤمن أن الكافرين لا يرونه، بل يُحجبون عنه يوم القيامة، كما قال سبحانه:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [سورة المطففين:١٥].

٧- **الجنة والنار**: نؤمن أن الجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان. الجنة دار النعيم أعدها الله عَزَّوَجَلَّ لأوليائه، والنار دار العذاب أعدها الله للكافرين.

باب الصحابة

نعتقد حبَّ جميع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونترضّى عنهم، ونعتقد أنهم خير القرون، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونُفَضِّلُ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضهم على بعض، فأفضلهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم: طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم نعتقد فضل أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

ونكفّ عمّا شجر بينهم، ونعتقد أنهم فيما وقع بينهم مجتهدون: منهم المصيب فله أجران، ومنهم المخطئ فله أجر واحد وخطؤه مغفور، ولا نعتقد العصمة لأحد منهم بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونعتقد أن محبتهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر أو نفاق أو فسوق بحسب حاله، وأن سبّهم ضلال وعدوان، وتكفيرهم كفر وضلال عظيم.

فاللهم إنا نحبهم ونتولاهم، ونسأل الله أن يرضى عنهم، ونبغض من يبغضهم، ونتبرأ ممن بغير الخير يذكرهم.

باب السمع والطاعة

نرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين في المعروف، وعدم الخروج عليهم إلا إذا وقع منهم كفر بواح عندنا فيه برهان.

باب الولاء والبراء

نوالي المؤمنين ونحبهم بحسب إيمانهم وتقواهم، ونتبرأ من الكافرين وأديانهم، مع الإحسان لغير المحاربين منهم كالذميين والمستأمنين، والعدل في معاملتهم.

الخاتمة

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، مصدرها الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة.

وهي وسط بين الغلاة والجفاة، ووسط بين المعطّلة والمشبّهة، ووسط بين الخوارج والمرجئة، ووسط بين الرافضة والنواصب.

فعلى المسلم أن يعتز بهذه العقيدة، ويثبت عليها، ويحرص على تعلّمها وتعليمها، فهي النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحيينا على الإسلام والسنة، وأن يميتنا عليهما، وأن يحشرنا في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

التسليم للكتاب والسنة أصل من أصول السلف

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل علينا الكتاب العزيز فكان على أشرف إنسان وهو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبينه أحسن بيان، وفصل هذا الدين كما أمره ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبرسالته ختم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الدين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ [سورة المائدة:٣]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاه ربه عَزَّوَجَلَّ فلا يقول إلا حقًا قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]، فالسنة النبوية شارحة وموضحة ومبينة لما فيه القرآن الكريم، وأيضًا فيها كثير من الأحكام التي لم تذكر في القرآن الكريم وإنما شرعت بالسنة النبوية، فواجبنا تجاه الكتاب والسنة القبول والتسليم لا المعارضة أو التأويل والتحريف، ومن نظر في سير السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم يُدرك ما كانوا عليه من التسليم والقبول وعدم المعارضة، ولم ينقل عن أحد السلف من السلف أنه عارض كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو ما صح من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأي حجة كانت لا بالعقل، ولا بالمكاشفات، ولا بالأذواق، ولا بزعم معارضة السنة للكتاب، وفيما يلي ننقل بعض كلام أهل العلم الذي يوضح هذا الأمر.

فقد قال الإمام محمد بن إدريس الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لم أسمَعْ أحدًا نسَبَه النَّاسُ أو نَسَب نَفْسَه إلى علمٍ يخالِفُ في أنَّ فَرْضَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ اتِّباعُ أمرِ رَسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتَّسليمُ لحُكمِه بأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يجعَلْ لأحَدٍ بَعْدَه إلَّا اتِّباعَه، وأنَّه لا يَلزَمُ قولٌ بكُلِّ حالٍ إلَّا بكتابِ اللهِ أو سُنَّةِ رَسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ ما سِواهما تَبَعٌ لهما"[1].

وقال صالحُ بنُ أحمَدَ بنِ حَنْبل: "كتَبَ رجُلٌ إلى أبي يسألُه عن مناظرةِ أهلِ الكلامِ والجُلوسِ معهم، فأملى عليَّ جوابَه:

أحسنَ اللهُ عاقبَتَك، ودَفَع عنك كلَّ مكروهٍ ومَحذورٍ، الذي كنَّا نسمَعُ وأدرَكْنا عليه من أدرَكْنا من أهلِ العِلـمِ: أنَّهم كانوا يكرهونَ الكلامَ والخَوضَ مع أهلِ الزَّيغِ، وإنَّما الأمرُ في التَّسليمِ والانتهاءِ إلى ما في كتابِ اللهِ جَلَّ وعزَّ، لا يَعْدُو ذلك"[2].

وقال الإمام محمد بن إسحاق ابنُ خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنَّ الأخبارَ في صفاتِ الله موافِقةٌ لكتابِ اللهِ تعالى، نقَلَها الخَلَفُ عن السَّلَف قرنًا بعد قرنٍ مِن لَدُن الصَّحابةِ والتَّابعينَ إلى عَصْرِنا هذا، على سَبيلِ الصِّفاتِ لله تعالى، والمعرفةِ والإيمانِ به،

(١) ينظر: الأم، للشافعي (٧/ ٢٨٧).

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح (٢/ ١٦٦)، برقم (٧٣٤)، وتاريخ الإسلام، للذهبي ت تدمري (١٨/ ٩٣-٩٤).

والتَّسليمِ لِما أخبَرَ اللهُ تعالى في تنزيلِه، ونبيُّه الرَّسولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن كتابِه، مع اجتِنابِ التَّأويلِ والجُحودِ، وتركِ التَّمثيلِ والتَّكييفِ"[1].

وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابنُ تَيميَّةَ رَحِمَهُٱللَّهُ: "مِنْ الْأُصُولِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ لَا بِرَأْيِهِ، وَلَا ذَوْقِهِ، وَلَا مَعْقُولِهِ، وَلَا قِيَاسِهِ، وَلَا وَجْدِهِ، فَإِنَّهُمْ ثَبَتَ عَنْهُمْ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّاتِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَهُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَهُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَهُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله، هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزِيغَهُ إلَى هَوَاهُ، وَلَا يُحَرِّفَ بِهِ لِسَانَهُ، وَلَا يَخْلَقَ عَنْ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، فَإِذَا رُدِّدَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لَمْ يَخْلَقْ وَلَمْ يُمَلَّ كَغَيْرِهِ مِنْ الْكَلَامِ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إلَيْهِ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

(١) ذم التأويل، لابن قدامة المقدسي (ص:١٨).

فَكَانَ الْقُرْآنُ هُوَ الْإِمَامَ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ؛ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ أَنَّهُ عَارَضَ الْقُرْآنَ بِعَقْلِ، وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ، وَلَا بِذَوْقٍ وَوَجْدٍ وَمُكَاشَفَةٍ، وَلَا قَالَ قَطُّ قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ"[1].

فعلينا التسليم والقبول للكتاب والسنة لا المعارضة، ففيهما المخرج من الضلال والانحراف.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يأخذ بأيدينا لكل خير، ويوفقنا للعمل بالكتاب والسنة، والامتثال لهما، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى الله عَزَّوَجَلَّ/ أبو عبدالله
محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي
٧ شعبان/ ١٤٤٦هجرية.

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨-٢٩).

الطريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير والهادي إلى الصراط المستقيم محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله الأطهار وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سبحانه ومن رحمته جَلَّ وَعَلَا بنا أنزل إلينا أعظم كتاب على أكرم خلق الله وأفضلهم، ونزل به أفضل رسل الله من الملائكة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين لنا عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم كل شيء، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه لنا وأحسن بيان، فما أجمل في القرآن فصله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبينه، وشرحه ووضحه قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل:٤٤]، قال الحافظ ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله، فتعرّفهم الصواب منه، والحقّ من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالدين الذي اجتمع عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمون اجتماعًا ظاهرًا معلومًا هو منقول عن نبيهم نقلًا متواترًا

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) ت شاكر (١٧/ ٢٣٦).

نقلوا القرآن ونقلوا سنته، وسنته مفسرة للقرآن مبينة له كما قال تعالى له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل:٤٤].

فبين ما أنزل الله لفظه ومعناه فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقا ظاهرا مما توارثته الأمة عن نبيها كما توارثت عنه ألفاظ القرآن فلم يكن -ولله الحمد- فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني فكيف بألفاظ تلك المعاني.

فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ فكان الدين الظاهر للمسلمين الذي اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم لفظه ومعناه، فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل لا للفظ ولا للمعنى بخلاف التوراة والإنجيل فإن من ألفاظها ما بدل معانيه وأحكامه اليهود والنصارى أو مجموعهما تبديلًا ظاهرًا مشهورًا في عامتهم"[(١)].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النحل:٦٤]، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أنّ من تأويل القرآن ما لا يُدرك علمُه إلا ببيان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وذلك تفصيل جُمَلِ ما في آيه من أمر الله ونَهْيه وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه، الذي هو مجمَلٌ في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة - لا يدرَك علمُ تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أشبه

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ١٧).

ذلك مما تحويه آيُ القرآن، من سائر حُكْمه الذي جعلَ الله بيانه لخلقه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا يعلم أحدٌ من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بتعليم الله إيَّاه ذلك بوحْيه إليه، إما مع جبريل، أو مع من شاء من رُسله إليه. فذلك هو الآيُ التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسِّرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه، وهنَّ لا شك آيٌ ذوات عَددٍ.

ومن آي القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثرَ بعلم تأويله، فلم يُطلعْ على علمه مَلَكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلا ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله.

فأما ما لا بُدَّ للعباد من علم تأويله، فقد بيّن لهم نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل. وذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل: ٤٤].

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أنه كان لا يفسر من القرآن شيئًا إلا آيًا بعَددٍ- هو ما يسبقُ إليه أوهامُ أهل الغياء، من أنه لم يكن يفسّر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه، كان إنما أُنزلَ إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذكرُ ليَترك للناس بيانَ ما أنزل إليهم، لا ليبين لهم ما أُنزل إليهم.

وفي أمر الله جلّ ثناؤه نبيَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ببلاغ ما أنزل إليه، وإعلامه إياه أنه إنما نزل إليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل إليهم، وقيامِ الحجة على أنّ النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد بلّغ وأدّى ما أمره الله ببلاغه وأدائِه على ما أمره به"[1].

الطريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو التسليم المطلق لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما صح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما فهمه سلف الأمة الصحابة والتابعون رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ لا عرضهما على العقول فما قبلته عقولهم قبلوه وما ردته ردوه بحيث تصبح عقولهم هي الميزان، أو إن اضطروا لقبول شيء حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني البعيدة أيضًا والمستكرهة فحادوا وزاغوا عن الحق والهدى، ونبذوا الدين وراء ظهورهم تعالى الله سبحانه عما يصفون.

قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُٱللَّهُ:

"وَأما أهل الْحق فَجعلُوا الْكتاب وَالسّنة إمَامهمْ، وطلبوا الدّين من قبلهمَا، وَمَا وَقع لَهُم من معقولهم وخواطرهم، عرضوه عَلَى الْكتاب وَالسّنة فَإِن وجدوه مُوَافقا لَهما قبلوه، وشكروا الله حَيْثُ أَرَاهُم ذَلِكَ ووفقهم إِلَيْهِ، وَإِن وجدوه مُخَالفا لَهُم تركُوا مَا وَقع لَهُم، وَأَقْبلُوا عَلَى الْكتاب وَالسّنة، وَرَجَعُوا بالتهمة عَلَى أنفسهم، فَإِن الْكتاب وَالسّنة لَا يهديان إِلَّا إِلَى الْحق، ورأي الْإِنْسَان قد يرى الْحق، وَقد يرى الْبَاطِل، وَهَذَا معنى قَول أَبِي سُلَيْمَان الدَّارَانِي: وَهُوَ وَاحِد زَمَانه فِي الْمعرفَة: مَا حَدَّثتنِي نَفسِي بِشَيْء

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) ت شاكر (١/ ٨٧-٨٩).

إِلَّا طلبت مِنْهَا شَاهِدين من الْكتاب وَالسّنة، فَإِن أَتَت بهما، وَإِلَّا رَددته فِي نحرها. أَو كَلَام هَذَا مَعْنَاهُ"[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ممَّا يدُلُّ على أنَّ أهلَ الحَديثِ هم على الحَقِّ أنَّك لو طالعْتَ جميعَ كُتُبِهم المصنَّفةِ من أَوَّلِهم إلى آخِرِهم؛ قَديمِهم وحديثِهم، مع اختِلافِ بلدانِهم وزَمانِهم، وتباعُدِ ما بينهم في الدِّيارِ، وسُكونِ كلِّ واحدٍ منهم قُطرًا من الأقطارِ، وجَدْتَهم في بيانِ الاعتِقادِ على وتيرةٍ واحدةٍ، ونَمَطٍ واحدٍ، يَجْرونَ فيه على طريقةٍ لا يَحيدون عنها، ولا يَميلونَ فيها، قولُهم في ذلك واحِدٌ، ونقْلُهم واحِدٌ، لا ترى بينهم اختِلافًا ولا تَفَرُّقًا في شَيءٍ ما وإن قَلَّ، بل لو جمعْتَ جميعَ ما جرى على ألسِنَتِهم ونَقَلوه عن سَلَفِهم، وجَدْتَه كأنَّه جاء من قَلبٍ واحِدٍ، وجرى على لسانٍ واحِدٍ، وهل على الحَقِّ دليلٌ أبيَنُ مِن هذا؟!"[2].

وبهذا يظهر الفرق بين أهل الحق وأهل الباطل.

فمنهج أهل السنة والجماعة منهج يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، فلا يردون منها شيئًا، ولا يعارضونها بعقل ولا ذوق ولا منامات، ولا غير ذلك.

قال الحافظ ابنُ عبدِ البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورفع درجته: "ليس في الاعتِقادِ كُلِّه في صِفاتِ اللهِ وأسمائِه إلَّا ما جاء منصوصًا في كتابِ اللهِ، أو صحَّ عن رَسولِ اللهِ

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٨).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أجمَعَت عليه الأمَّةُ، وما جاء من أخبارِ الآحادِ في ذلك كُلِّه أو نحوِه يُسَلَّمُ له، ولا يناظَرُ فيه"[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَقْلِ الثِّقَاتِ وَجَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَصَحَّ عَنْهُمْ فَهُوَ عِلْمٌ يُدَانُ بِهِ، وَمَا أُحْدِثَ بَعْدَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِيمَا جَاءَ عَنْهُمْ فَبِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ وَمَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ أَوْ صِفَاتِهِ عَنْهُمْ سَلِمَ لَهُ، وَلَمْ يُنَاظَرْ فِيهِ كَمَا لَمْ يُنَاظَرُوا".

وقَالَ أَبُو عُمَرَ: "رَوَاهَا السَّلَفُ وَسَكَتُوا عَنْهَا وَهُمْ كَانُوا أَعْمَقَ النَّاسِ عِلْمًا وَأَوْسَعَهُمْ فَهْمًا وَأَقَلَّهُمْ تَكَلُّفًا وَلَمْ يَكُنْ سُكُوتُهُمْ عَنْ عِيٍّ فَمَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَهُمْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"[2].

بخلاف أهل البدع فقد أصلوا لأنفسهم قواعد حاكموا إليها نصوص الكتاب والسنة؛ فما وافق منها تلك القواعد قالوا به معضدين لا محتجين، وما خالف ردوه بتضعيف إن كان حديثًا، أو تأويل إن كان قرآنًا أو حديثًا، وإن أحسنوا المعاملة فوضوا العلم به، وعزلوه عن الحكم والاحتجاج به.

فاللهم أرنا الحق حقًا ووفقنا للتمسك به، وأرنا الباطل باطلًا ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل، اللهم أعذنا الله من مُخَالفَة السّنة وَلُزُوم الابتداع، وَجَعَلنَا مِمَّن يلْزم طَرِيق الِاتِّبَاع، ربنا وخالقنا جنبنا الزلل في القول والعمل، واجعلنا ممن يقول

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٦).

فيعمل، ويعمل فيخلص، ويُخلص فيُقبل منه يا كريم يا عظيم يا الله، وَصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد أفضل صَلَاة وأزكاها وأطيبها وأنماها، وَأَحْيَانا على مِلَّته، وأماتنا على سنته، وحشرنا فِي زمرته.

والحمد لله رب العالمين.

جُرأة الجاهلين على الوحيين

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإننا نعيش في زمنٍ اختلطت فيه الأصوات، وتجرّأ فيه من لا خَلاق له على الكلام والخوض في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وصار الحق غريبًا بين الناس، والعلم مطمورًا تحت ضجيج الجهل والادّعاء.

ورأينا أقوامًا لا يُعرفوا بعلم ولا ينسبون إلى طلبه، وإنما تشبثوا بالشبهات لإثارتها وتشكيك الناس في عقيدتهم وكتاب ربهم، وسنة نبيهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولم يذوقوا من الفقه إلا سطحه، فإذا بهم يتصدّرون للكلام في أعظم ما يُتكلَّم فيه: الوحي الإلهي.

يتأوّلون القرآن الكريم بلا علم، ويردّون السنة النبوية الصحيحة بزعم مخالفتها للعقل، فيجعلون عقولهم القاصرة ميزانًا للوحي المعصوم، وما علموا أن قصور عقولهم هو سبب ضلالهم، لا كمالها، وأنّ عقول السلف العظام إنما أشرقت بنور الإيمان ففهمت النصوص على وجهها، فجمعت بين العقل والنقل، وبين العلم والعمل.

وتارة يردونها بزعم مخالفتها للقرآن الكريم أو معارضتها للقرآن الكريم، فبأي فهم فهموا وبأي عقل حكموا؟!

خابوا وخسروا.

ولأن هذا الداء قد تفشّى في هذا الزمن، وامتدّت ألسنة الجُهال إلى حرمات الوحيين (الكتاب والسنة) أصبح سمة مؤلمة من سمات عصرنا؛ كان لزامًا أن يُبين الحق، ويكشف الباطل وزيفه، وأن يُذكَّر الناس بقدسية هذا الدين الحنيف، وأن يُوضع العقل في موضعه، تابعًا لا متبوعًا، خادمًا لا حاكمًا.

ومن هنا كانت هذه الكلمات تحت عنوان: (جرأة الجاهلين على الوحيين)

لقد ابتُلينا في هذا الزمان بأقوامٍ ما رفعوا للعلم رأسًا، وما عرفوا للعلم قدرًا، ولا طرقوا أبواب التفقّه في الدين، فإذا هم يتصدّرون المجالس، ويعتلون المنابر، ويظهرون في الشاشات، يفسّرون القرآن بأهوائهم، ويلمزون تفاسير السلف بأنها تحمل ثقافة مغلوطة، ويزنون سنّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعقولهم القاصرة، ثم يزعمون أنهم أهل تجديدٍ وفكرٍ ونور وقرآن!

يا للعجب! أيّ فكرٍ هذا الذي يجرّ صاحبه إلى ردّ كلام سيد البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وأيّ نورٍ هذا الذي يطفئ أنوار الوحيين بحجّة العقل تارةً؟ وتارةً بحجة معارضتها للقرآن الكريم؟!

وأي منتسب للقرآن وهو يرد هدي سيد الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويفسر القرآن بعقله القاصر، ورأيه العفن.

أيها الأفاضل: إن العقل الذي وهبه الله عَزَّوَجَلَّ للإنسان، إنما هو مصباحٌ يُضيء له الطريق إلى الحق، لا نارٌ تحرق نصوص الوحي وتذرها رمادًا.

العقل في الإسلام خادمٌ للنص، لا سيّد عليه، يصدّقه حيث يبلغه، ويقف عند حدّه إذا قصُر عنه، فما كلّ ما لم تدركه العقول يُردّ، بل فيه سرّ العبودية المحضة، وميزان التسليم لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ولقد كان أصحاب محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا نزلت الآية، جمعوا قلوبهم لها قبل ألسنتهم، وتلقّوا الإيمان قبل أن يتلقّوا القرآن، فازدادوا به إيمانًا على إيمانهم.

أما اليوم فكثيرٌ ممن سلك هذا الطريق يعجز عن قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، فضلًا عن العلم بناسخه ومنسوخه، وأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ولا يعرف من علوم الحديث حتى عناوينه، يرفع صوته في وجوه العلماء، ويتهمهم بالجمود والتقليد والكذب والتلفيق في دين الله عَزَّوَجَلَّ وأنهم إنما أخذوا دينهم من اليهود، ثم يفسّر الدين كما يشتهي، ويختزل الوحي في رأيٍ عابرٍ أو خاطرٍ مضطرب.

يا هؤلاء!

إن الوحي لا يُعارضه عقلٌ سليم، وإنما يعارضه هوىً سقيم.

ومن رام أن يزن كلام الله عَزَّوَجَلَّ بميزان نفسه، فقد جعل من نفسه إلهًا يُعبد من دون الله جَلَّوَعَلَا.

وما ضلّ من ضلّ إلا حين قدّم رأيه على النص، وعقله على الوحي، وهواه على الهدى.

فارجعوا إلى منهج السلف أيها القوم تفلحوا، وتعلّموا قبل أن تقولوا، وازنوا عقولكم وأقوالكم وأفعالكم بميزان الكتاب والسنة، لا تزنوا الكتاب والسنة بميزان عقولكم القاصرة.

واعلموا أن للدين حُرمته، وللوحي هيبته، وأن الكلام فيه بغير علم جرأةٌ على الله جَلَّجَلَالُهُ، وافتئاتٌ على رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧]، ولم يقل: وما آتاكم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فاعرضوه على القرآن الكريم.

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال:١]، فإن كنتم مؤمنين حقًا أطيعوا الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة آل عمران:٣١]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «من

عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[(١)]، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تحب وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾"[(٢)].

فيا من يتجرأ على الوحيين! اتق الله عَزَّوَجَلَّ، وارجع إلى ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والتابعين وأتباعهم قبل ظهور الفرق المنحرفة، وإياك والقول في دين الله جَلَّوَعَلَا بغير علم، فإنها من أعظم الجرائم وأشدها خطرًا.

ولتعلم أن من خالف سبيل المؤمنين فقد توعّده الله جَلَّوَعَلَا بالعذاب الأليم، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء:١١٥].

وتوعد رب العزة والجلال من يخالف أمر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالعذاب الأليم فقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور:٦٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١٧١٨).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٢).

فاتقوا الله أيها الناس، وارجعوا إلى الحق قبل فوات الأوان، وخافوا من الجرأة على دين الله جَلَّجَلَالُهُ، واعلموا أن القول على الله جَلَّوَعَلَا بغير علم من الكبائر قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف:٣٣]، ولا ترددوا شبهاتٍ أملاها عليكم قومٌ لا خلاق لهم.

واعلموا أن دين الله عَزَّوَجَلَّ محفوظ، وأن من عارضه فقد عرّض نفسه للهلاك، فإن كنتم تريدون الحق ورضى الحق فاتبعوا الحق فالحق أحق أن يتبع، واجعلوا رضا الله عَزَّوَجَلَّ غايتكم لا فلان وعلان.

وإذ نختم هذه الكلمات بهذه الدعوات، فإننا نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدينا سواء السبيل، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، نافعةً لكاتبها وقارئها.

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل، اللهم ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك أنت حسبنا ونعم الوكيل وفّقنا لما تحب وترضى، يا أكرم الأكرمين ويا رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

خطوات عملية للثبات على عقيدة السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد سألني أحد الأفاضل سؤالًا قال فيه: نرى كثيرًا ممن درس العقيدة وحفظ المتون ودرس العلم إذا جاءته فتنة زل!!! فما هي خطوات العقيدة العملية التي كان عليها سلفنا الصالح؟

هناك خطوات نظرية وهي التي ندرسها الآن لكن أسأل ما هي الخطوات العملية برأيكم؟

فأجبته مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ قائلًا:

إن السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحم الله من سار على طريقهم وسلك سبيلهم كانوا يتعلموا ليعملوا بما تعلموا، ولم يكونوا يحفظون العقيدة كما تفضلتم بالسؤال كمتون أو كتيبات معينة، وإنما كانوا يعرفون العقيدة ويطبقونها في واقعهم وسلوكهم، فكانت العقيدة عندهم حاكمة على قلب الإنسان وجوارحه وسلوكه؛ لذا ثبتوا عند البلاء، وثبتوا أمام الفتن والمصائب، فكانت العقيدة عندهم عماد حياتهم وأسها وأساسها، وليست مادة دراسية فقط.

وفيما يلي نذكر بعض الخطوات التي تمثل خطوات عملية تمثل عقيدة وتثبيت أثرها عند السلف الصالح، وهي:

أولًا: تحقيق التوحيد الخالص لله جَلَّوَعَلَا:

ليس الغرض معرفة معنى التوحيد وأنواعه فحسب وإنما معرفة التوحيد بأنواعه والقيام بما يجب على العبد في ذلك، فيفرد الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله فالله سبحانه فعال لما يريد الخالق الرازق المحيي المميت على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فيترك التعلق بغير الله جَلَّوَعَلَا، والاعتماد على غيره، وإنما يكون اعتماده الكامل على ربه عَزَّوَجَلَّ، ولا يخاف إلا منه سبحانه وبحمده، والتوكل عليه في كل أمر ولا يطلب النصر والعزة والهداية والرزق والولد وغيرها إلا منه سبحانه فهو القادر على كل شيء.

فإذا أفردت الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله سبحانه قادك ذلك لتوحيد الإلهية وهو إفراد الله جَلَّجَلَالُهُ بالعبادة، فلا تصرف أي عمل لغيره جَلَّوَعَلَا، فتفرد الله عَزَّوَجَلَّ بعبادتك الظاهرة وهي أعمال الجوارح وأقوالك -أعمال اللسان-.

وكذا تفرده بعبادتك الباطنة وهي أعمال القلوب، فلا تكون الخشية إلا لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يكون توكلك إلا على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يكون خوفك إلا من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

والمراقبة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في جميع الأعمال، فأعمال القلوب هي ثمرة من ثمار توحيد الأسماء والصفات، فحين يعرف الإنسان أن الله جَلَّجَلَالُهُ عليم بصير لا يخفى

عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، هذا يبعث على تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في النفوس ويقود الإنسان إلى الابتعاد عن كل ما يغضب الله جَلَّوَعَلَا والاستقامة على هذا الدين.

ومن أسمائه جَلَّوَعَلَا الرقيب فهذا يبعث العبد على مراقبته جلا جلاله في الأعمال فلا يراك سبحانه إلا حيث يحب ولا يراك حيث نهاك، وهكذا سائر الأسماء والصفات حين يستشعرها الإنسان تثمر عنده الاستقامة والسير على ما كان عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والسلف الصالح.

فهكذا يكون التوحيد الخالص زادًا للثبات في زمن الفتن، وسراجًا للسير على منهج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وسلف الأمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ؛ إذا لا يثبت في زمن الفتن والاضطراب إلا من وحد الله جَلَّوَعَلَا حق التوحيد، فعظَّمه فهو العظيم في خلقه والعظيم في أفعاله وفي صفاته وفي كل شيء، وراقبه سبحانه فهو الرقيب، وتوكل عليه سبحانه حق التوكل.

ثانيًا: الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ:

الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ هو أصل الثبات وروح الاستقامة على دين الله جَلَّوَعَلَا، وميزان قبول الأعمال، كيف يكون ذلك؟ يكون الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ بإخلاصك في أعمالك لله جَلَّوَعَلَا، فيكون قصدك في طلبك للعلم لله سبحانه، لا الجدال والمخاصمة في العلم، ولا العلو والشهرة والمنزلة في بني قومه، وليكن قصدك في

العبادة وجه الله جَلَّوَعَلَا، فالعبادة هي لله عَزَّوَجَلَّ الغني الرازق الرزاق الذي هو على كل شيء قدير، العالم بكل شيء، القوي القادر على كل شيء، فمن عظم الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه بمعرفته جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته يستحيل أن يتوجه لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف يطلب الرزق من قبر أو وثن من عرف الله جَلَّجَلَالُهُ؟

كيف يقصد غير الله بأعماله من عرف الله سبحانه حق معرفته.

فالله سبحانه غني عظيم يرد منا أن نفرده بالعبادة ونقصد بها وجهه جَلَّوَعَلَا، في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ**»(٢).

وفي الصحيحين عن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»(٣).

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٦).

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٩٩)، ومسلم، برقم (٢٩٨٧)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري، برقم (١)، ومسلم، برقم (١٩٠٧).

فمن طلب العلم ليُجادل أو ليُعجب الناس بعلمه حُرم بركته، ومن عبد الله عَزَّوَجَلَّ وهو يلتفت بقلبه إلى المخلوقين لم يذق حلاوة العبادة، أما من كان قصده وجه الله جَلَّجَلَالُهُ، طابت سريرته، وثبت قلبه، وصارت عباداته كلها خالصة لربه سبحانه الغني الحميد، الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.

فصحة أعمال الإنسان أقوال وأفعال أو كمالها وقبولها وترتيب الثواب عليها لا يكون إلا بحسب النية، فقبول العمل وإثابة الإنسان عليه لمن كانت نيته لله عَزَّوَجَلَّ به.

ومن صدق مع الله عَزَّوَجَلَّ وأخلص له سبحانه ثبّته الله جَلَّوَعَلَا؛ لأن الصدق يجلب معية الله جَلَّجَلَالُهُ، ومن كان الله عَزَّوَجَلَّ معه لا يضله شيء.

ثالثا: الإكثار من الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ والاستعانه به على الثبات على الدين:

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن الدعاء هو العبادة، فأخلص النية وألح على الله جَلَّوَعَلَا بالدعاء وطلب الهداية فمن طلب الهداية منه سبحانه بصدق هداه الله جَلَّوَعَلَا، يقول الله جَلَّجَلَالُهُ في حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صحيح مسلم فيما يرويه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم...»[1].

ولأهمية الهداية نسألها الله جَلَّوَعَلَا في كل ركعة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [سورة الفاتحة:٦].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٧٧).

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ أن يثبته على الدين، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»[(١)].

وأخرجه الترمذي[(٢)] أيضًا من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ مقارب لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه أحمد في المسند من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**دعوات كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يدعو بها: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء، فقال: إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه**»[(٣)].

فهذا الحديث العظيم أبان فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة عظيمة وهي: أن الثبات على الدين ليس بالذكاءِ، ولا بالعلم، ولا بالمنزلة، بل برحمة الله جَلَّ جَلَالُهُ وتوفيقه سبحانه.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٤٠)، وأحمد في المسند، برقم (١٢١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٧٩٨٧).

(٢) برقم (٣٥٢٢)، وأحمد في المسند، برقم (٢٦٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٨٠١)

(٣) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٤٦٠٤)، وصححه محققو المسند.

فالدعاء سبب مباشر للهداية لأن الله سبحانه هو الهادي وبيده كل شيء ومن ذلك الهداية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة القصص:٥٦].

والدعاء صلة عظيمة بين العبد وربه جَلَّوَعَلَا، فمن أكثر الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عَزَّوَجَلَّ له أبواب العلم والعمل ووفقه وشرح صدره للحق وقبوله ووقاه مسالك الهوى والضلال.

والدعاء أيضًا سبب للثبات بعد الهداية وقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكثر الدعاء أن يثبت الله جَلَّجَلَالُهُ قلبه على الدين كما سبق.

وأيضًا وأنت تدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن تعبد الله سبحانه استشعر ضعفك وفقرك لله جَلَّجَلَالُهُ واستشعر أيضًا عظمة الله وأنه بيده كل شيء، وقد أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

فالدعاء سلاح المؤمن، وزاد الموحّد، وحصن الثابتين في زمن الفتن، ومن لازم الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عَزَّوَجَلَّ له أبواب الخير، ووقاه مواطن الزيغ والظلال، وثبّته على الصراط المستقيم حتى يلقى ربه جَلَّوَعَلَا وهو راضٍ عنه.

رابعًا: الابتعاد عن الشبهات والشهوات:

من أسباب الثبات على الدين الابتعاد عن الشبهات والشهوات؛ لأنهما أصل كل انحرافٍ في العقيدة والفكر والسلوك.

فالشبهات تفسد العقل والعقيدة، والشهوات تفسد القلب والعمل، ومن اجتمعت عليه الفتنتان زلّ عن الصراط المستقيم من حيث لا يشعر، وقد حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[(١)].

فمن ترك ما اشتبه عليه حفظ الله عَزَّوَجَلَّ له دينه من التصدّع، ووقاه مزالق الفتن التي تتخفّى أحيانًا في صورة فكرٍ أو لذّةٍ أو طموحٍ بريء.

ونحن اليوم نعيش في زمنٍ كثرت فيه فتن الشبهات والشهوات، وتنوّعت فيه وسائل الوصول إليها حتى أصبحت تلاحق الإنسان في بيته وجيبه عبر الجوال والشاشات والنت والتلفاز، فلا نجاة إلا لمن عصمه الله عَزَّوَجَلَّ، ووقاه بالعلم النافع، واليقين الراسخ، ومجاهدة النفس عن مواطن الزلل.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٢)، ومسلم، برقم (١٥٩٩).

والإنسان إذا ابتعد عن الشبهات حفظ الله جَلَّوَعَلَا له بصيرته، وإذا جاهد شهوته ودافعها لله جَلَّجَلَالُهُ رفع الله سبحانه منزلته، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت:٦٩].

فالثبات لا يتحقق إلا لمن نظّف طريقه من العوائق، وأشد العوائق عن الصراط المستقيم ظلمةً هي شبهةٌ في العقل، وشهوةٌ في القلب؛ فاحذر أن تسكن فيك إحداهما، فإنهما كما قيل: يبدآن همسًا وينتهيان هدمًا.

خامسًا: الزهد في الدنيا وزخرفها، ومصاحبة الصالحين:

من أسباب الثبات على الدين الزهد في الدنيا ومعرفة حقيقتها؛ فالدنيا مهما اتسعت متاعٌ زائل، وزخرفٌ خادع، قال الله جَلَّوَعَلَا في وصفها: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [سورة الحديد:٢٠].

فإذا أيقن الإنسان بفنائها، وأنها متاع زائل، ورأى بعين بصره وبصيرته سرعة انقضائها، وكم من أخوة وأحباب له قد رحلوا عنها وتركوها خلف ظهورهم، لم يأسفْ على ما فاته منها، ولم يغترّ بزخارفها، بل يزهد فيها، ويطلب ما عند الله جَلَّجَلَالُهُ والدار الآخرة.

ولا أعني بالزهد في الدنيا ترك المال أو العمل فيها، وإنما المراد بأن لا يكون المال في قلب الإنسان وإنما يكون في يده، بحيث أنه لا يفرح الإنسان بما أُعطي فهو مسؤول عنه من أين أتاه وفيم أنفقه، ولا يحزن على ما مُنع من زخرف الدنيا بل يجعل الدنيا مزرعةً للآخرة.

ومن عرف أن الآخرة هي الحياة الحقيقية استصغر ما دونها، واستقام قلبه على طاعة الله جَلَّجَلَالُهُ، وثبت في مواطن الفتن؛ لأنه عرف حقيقة الدنيا وأنها ليست هدفًا يستحق أن يُفتن بها فإنها زائلة ولا بد، وأن الدار الحقيقية الدائمة هي الآخرة فيزهد فيما سوى الباقية.

ومما يُعين على الثبات بعد معرفة حقيقة الدنيا مصاحبة الصالحين؛ فالقلب يضعف وحده ويقوى بالجماعة، وقد أرشد الله عَزَّوَجَلَّ لهذا في قوله سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [سورة الكهف:٢٨].

فصحبة الصالحين تذكّر بالله جَلَّوَعَلَا، وتعين على طاعته لذا شُرعت كثير من العبادات جماعة، وتُذكّر بالآخرة، وتُطفئ نار الفتنة حين تشتعل، فالإنسان قد يزلّ وحده، لكنه يثبت مع الرفقة الصالحة التي تذكّره بالله جَلَّجَلَالُهُ، وتردّه إلى الطريق إذا ضعف.

فالزهد في الدنيا يُطهّر القلب من التعلق بالزائل، ومجالسة الصالحين تُثبّت القدم على الحق والهدى، ومن جمعهما فقد أخذ بأقوى أسباب الثبات على الدين.

هذا ما تيسر القول فيه، فاحرص أشد الحرص على ما أشرنا إليه، فقد تكون جامعة نافعة لما سألتَ عنه.

أسأل الله جَلَّجَلَالُهُ أن ينفعني الله وإياك بهذا التذكرة، وأن ينفع بها من اطلع عليها، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يبصرنا بطرق الظلال والهوى ويجنبنا، ويُيسر لنا طُرق الهداية والاستمرار عليها، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

هذا والله عَزَّوَجَلَّ أعلى وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

سلسلة وسائل الثبات على دين الله

(١) تحقيق التوحيد الخالص لله جَلَّ وَعَلَا

ليس الغرض معرفة معنى التوحيد وأنواعه فحسب وإنما معرفة التوحيد بأنواعه والقيام بما يجب على العبد في ذلك، فيفرد الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله فالله سبحانه فعال لما يريد الخالق الرازق المحيي المميت على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فيترك التعلق بغير الله جَلَّ وَعَلَا، والاعتماد على غيره، وإنما يكون اعتماده الكامل على ربه عَزَّوَجَلَّ، ولا يخاف إلا منه سبحانه وبحمده، والتوكل عليه في كل أمر ولا يطلب النصر والعزة والهداية والرزق والولد وغيرها إلا منه سبحانه فهو القادر على كل شيء.

فإذا أفردت الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله سبحانه قادك ذلك لتوحيد الإلهية وهو إفراد الله جَلَّجَلَالُهُ بالعبادة، فلا تصرف أي عمل لغيره جَلَّ وَعَلَا، فتفرد الله عَزَّوَجَلَّ بعبادتك الظاهرة وهي أعمال الجوارح، وأقوالك -أعمال اللسان-.

وكذا تفرده بعبادتك الباطنة وهي أعمال القلوب، فلا تكون الخشية إلا لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يكون توكلك إلا على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يكون خوفك إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمراقبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جميع الأعمال، فأعمال القلوب هي ثمرة من ثمار توحيد الأسماء والصفات، فحين يعرف الإنسان أن الله جَلَّجَلَالُهُ عليم بصير لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما

تخفي الصدور، هذا يبعث على تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في النفوس ويقود الإنسان إلى الابتعاد عن كل ما يغضب الله جَلَّوَعَلَا والاستقامة على هذا الدين.

ومن أسمائه جَلَّوَعَلَا الرقيب فهذا يبعث العبد على مراقبته جلا جلاله في الأعمال فلا يراك سبحانه إلا حيث يحب ولا يراك حيث نهاك، وهكذا سائر الأسماء والصفات حين يستشعرها الإنسان تثمر عنده الاستقامة والسير على ما كان عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والسلف الصالح.

فهكذا يكون التوحيد الخالص زادًا للثبات في زمن الفتن، وسراجًا للسير على منهج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسلف الأمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ إذا لا يثبت في زمن الفتن والاضطراب إلا من وحد الله جَلَّوَعَلَا حق التوحيد، فعظَّمه فهو العظيم في خلقه والعظيم في أفعاله وفي صفاته وفي كل شيء، وراقبه سبحانه فهو الرقيب، وتوكل عليه سبحانه حق التوكل.

(٢) الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ

الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ هو أصل الثبات وروح الاستقامة على دين الله جَلَّوَعَلَا، وميزان قبول الأعمال، كيف يكون ذلك؟

يكون الصدق مع الله عَزَّوَجَلَّ بإخلاصك في أعمالك لله جَلَّوَعَلَا، فيكون قصدك في طلبك للعلم لله سبحانه، لا الجدال والمخاصمة في العلم، ولا العلو والشهرة والمنزلة في بني قومه، وليكن قصدك في العبادة وجه الله جَلَّوَعَلَا، فالعبادة هي لله عَزَّوَجَلَّ الغني الرازق الرزاق الذي هو على كل شيء قدير، العالم بكل شيء، القوي القادر على كل شيء، فمن عظم الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه بمعرفته جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته يستحيل أن يتوجه لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف يطلب الرزق من قبر أو وثن من عرف الله جَلَّجَلَالُهُ؟

كيف يقصد غير الله بأعماله من عرف الله سبحانه حق معرفته.

فالله سبحانه غني عظيم يرد منا أن نفرده بالعبادة ونقصد بها وجهه جَلَّوَعَلَا، في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٥).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ»[1].

وفي الصحيحين عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ»[2].

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»[3].

فمن طلب العلم ليُجادل أو ليُعجب الناس بعلمه حُرم بركته، ومن عبد الله عَزَّوَجَلَّ وهو يلتفت بقلبه إلى المخلوقين لم يذق حلاوة العبادة، أما من كان قصده وجه الله جَلَّجَلَالُهُ، طابت سريرته، وثبت قلبه، وصارت عباداته كلها خالصة لربه سبحانه الغني الحميد، الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.

فصحة أعمال الإنسان أقوال وأفعال أو كمالها وقبولها وترتيب الثواب عليها لا يكون إلا بحسب النية، فقبول العمل وإثابة الإنسان عليه لمن كانت نيته لله عَزَّوَجَلَّ به.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٨٦).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٦٤٩٩)، ومسلم، برقم (٢٩٨٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (١)، ومسلم، برقم (١٩٠٧).

ومن صدق مع الله عَزَّوَجَلَّ وأخلص له سبحانه ثبّته الله جَلَّوَعَلَا؛ لأن الصدق يجلب معية الله جَلَّجَلَالُهُ، ومن كان الله عَزَّوَجَلَّ معه لا يضله شيء.

وكتبه/ محمد بن عبدالله العبدلي

(٣) طلبُ العلم الشرعي والتفقه في دين الله على الثقات من أهل العلم

اعلم رحمني الله وإياك أن العلمَ الشرعيَّ نورٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وأصلُ الهداية، وأساسُ الاستقامة، وأعظمُ ما يثبت به العبد على دين الله جَلَّجَلَالُهُ عند اضطراب الفتن، وتكاثر الشبهات والشهوات، وتنوُّع أهل الأهواء وتكاثر دعاة أهل الباطل، وتنوع أساليبهم ونشاطهم وجلدهم في نشر باطلهم، ومحاربة الحق وأهله.

فالعلم الشرعيَّ نورٌ يقذفه الله جَلَّوَعَلَا في القلوب، وميزانٌ تُوزن به الأقوال والأعمال، وبه تُعرف معالم الشريعة، ويتميَّز الحق من الباطل، والسنة من البدعة، والهدى من الضلالة.

طلبَ العلم الشرعي من أفضل القرب التي يتقرب بها الإنسان إلى الله عَزَّوَجَلَّ والتفقهَ في دين الله جَلَّوَعَلَا علامة خير لمن أقبل عليه، وعليك أيها المقبل على الطلب بالأخذِ عن الثقات من أهل العلم، الذين عرفوا بسلامة العقيدة والمنهج، وليس كل من تكلم يُعد من العلماء ولا كل من تصدر أُخذ عنه العلم فقد أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[(١)].

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٥).

فالأخذ من أهل العلم من أعظم أسباب الثبات على الدين، وحراسة الإيمان والعقيدة، وسلامة المنهج في الدنيا والآخرة.

وإذا كانت الأجساد لا تقوم وتحيا إلا بالطعام والشراب الطيب، فإن القلوب لا تثبت ولا تحيا إلا بالعلم الصحيح الذي يُعرف به الحق من الباطل، والسنة من البدعة، والهدى من الضلالة، وبه يستقيم الاعتقاد على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن سار على منهجهم.

وقد دلَّت النصوص الشرعية على أن العلم مقدَّمٌ على القول والعمل، وبوب الإمام البخاري في صحيحه: "باب: العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد: ١٩] فبدأ بالعلم، «وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة»[(١)].

فلا يصح اعتقاد، ولا تستقيم عبادة، ولا يثبت القلب على طريق الحق والسنة، إلا بعلمٍ صحيحٍ راسخ؛ لكونه الأصل الذي تُبنى عليه سائر التكاليف الشرعية.

وبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ شرفَ العلم وأهله، وعلوَّ منزلتهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة:١١]، فدلَّ ذلك على أن رفعة الدرجات ثمرةُ العلم؛ لما يورثه من بصيرةٍ في الدين، وثباتٍ عند الفتن،

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٤-٢٥).

وسلامةٍ من الانحراف، قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [سورة المجادلة:١١] فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه"[1].

وبيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن التفقه في الدين علامة التوفيق، ودليلَ إرادة الخير بالعبد قال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[2]، فجعل الفقه في الدين ميزانَ الخيرية، لا مجرد كثرة العمل مع الجهل، ولا الحماسة الخالية من الدليل.

وإنما كان العلم سببًا للثبات على الحق؛ لأن الجهل أصلُ الزيغ، ومنشأُ الانحراف، ومدخلُ الفتن، ولهذا نهى الله جَلَّ وَعَلَا عن القول والعمل بغير علم، فقال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٧١)، ومسلم في صحيحه، برقم (١٠٣٧).

فالعلم يحصِّن القلب ويمنع التقلُّب، ويضبط السلوك، ويقي من الانسياق خلف الشبهات والشهوات.

أخي الفاضل: اجعل طلب العلم الشرعي زادك وطريقك إن كنت تريد الثبات على الدين والهدى، فالعلم الشرعي هو التثبيت:

فبه تُدفع الشبهات، وتُعرف مداخل الفتن، ويثبت القلب عند الاضطراب.

وبه يرى العبد طريقه واضحًا، فلا يلتبس عليه الحق، ولا تغره الدعاوى، ولا يخدعه أهل الأهواء بشبهاتهم الزائفة.

وإن من أعظم ثمرات العلم الشرعي الخشوع والانكسار للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر:٢٨]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة البينة:٨]"[1].

وبالعلم الشرعي تُصان العقائد، وتستقيم الأعمال، ويعيش العبد في رقابةٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يقدم على معصية لعلمه بأن الله عَزَّوَجَلَّ مطلع عليه سميع بصير لا تخفى عليه خافية، ولا يقع في شبهة لعلمه بفسادها وبطلانها.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٩).

فلا تُفرِّط في مجالس العلم، فالزمن زمن فتن كقطع الليل المظلم، ولا يثبت فيه إلا من ثبَّته الله جَلَّوَعَلَا بالعلم، فداوم على التعلُّم، واقرأ كتب أهل السنة، والزَم العلماء الراسخين، وتواضع للحق؛ فإن العلم من أجل العبادات، وهو من أيسر الطرق الموصلة إلى الجنة لمن صلحت فيها نيته فقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند مسلم: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»[1]، وطريقه الصبر والإخلاص.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، ونسأله جَلَّوَعَلَا علمًا نافعًا، وقلبًا خاشعًا، وبصيرةً نافذة، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يجنبنا ويعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٩٩).

(٤) قراءة القرآن وحفظه وتدبره والعمل به

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن القرآن الكريم كلام الله عَزَّوَجَلَّ وهو حبله المتين من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه وهجره تركه ضل وغوى، وإن من أعظم الوسائل التي تثبت الإنسان بإذن الله عَزَّوَجَلَّ هو تلاوة كتابه وحفظه وتدبره والعمل به، فإذا كانت الأجسام تحتاج للأكل والشرب لتستمر في الحياة فإن كلام الله عَزَّوَجَلَّ هو غذاء الروح والقلب، وهذا الذي يجعل الإنسان يثبت في زمن الفتن والشهوات والمغريات، حين يكون دائم الصلة بكلام الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد أشار الله جَلَّوَعَلَا إلى هذه الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٢]، بيّن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في هذه الآية حقيقة عظيمة وهي: أن التنزيل المفرق للقرآن كان لغاية تثبيت فؤاد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فكيف بقلوبنا نحن الضعيفة؟

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الأنفال:٢]، قال العلامة السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: "﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب،

ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ وحده لا شريك له ﴿يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك"[1].

أيها المبارك الساعي للثبات على هذا الدين، اجعل كلام الله عَزَّوَجَلَّ رفيقك وصاحبك وصديقك:

- القرآن الكريم هو التثبيت: تلاوة القرآن الكريم بتدبر تُغذي الروح باليقين، وتُرسخ الإيمان في القلب، وتُزيل الشكوك والشبهات، قال الإمام الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم، فإن من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه"[2].

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص:٣١٥).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) (ص: ٢٣٥).

- القرآن الكريم فيه القدوة: لكونه يحتوي على قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي قصص فيها ثبات وصبر على الأذى، فدراستها والتأسي بها تُعلمك كيفية مواجهة الابتلاءات والمحن بالصبر والثبات.

- القرآن الكريم للعمل: الثبات الحقيقي لا يكون إلا بالعمل بما في القرآن الكريم فمن عمل بأحكامه، ووقف عند حدوده، كان القرآن له إمامًا وقائدًا إلى الجنة، وسببًا لثباته في هذه الحياة على الحق والهدى.

- والقرآن الكريم أعظم الذكر، وأعظم ما يبعث الطمأنينة في النفس، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [سورة الرعد:٢٨].

- والقرآن الكريم يربط الإنسان بالآخرة، يذكره بالموت والبعث والحساب، وأنه مسؤول عن مثقال الذرة، وفيه ذكر الجنة والنار وأوصافهما، فهذا يجعل الإنسان خائف من الله جَلَّوَعَلَا ثم مما أعد للعاصين في نار جهنم، ويطمع في رضى الله عَزَّوَجَلَّ وما يوصله إلى الجنة التي نعيمها لا ينقطع، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب رجل.

- القرآن الكريم يعرفك بالله جَلَّجَلَالُهُ: فتقرأ في القرآن الكريم صفات الله جَلَّوَعَلَا وعظمته، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فيجعل المؤمن يعيش في رقابة دائمة لله جَلَّجَلَالُهُ، السميع البصير، الذي لا يخفى عليه شيء في

الأرض ولا في السماء، فهذا يبعث على الثبات والرقابة لله جَلَّجَلَالُهُ، فالله الله لا يراك الله عَزَّوَجَلَّ حيث نهاك، ولا تجعله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أهون الناظرين إليك.

أيها الأخ الفاضل: لا تتأخر عن وردك اليومي من القرآن الكريم فإنه الزاد الحقيقي وأعظم مثبت على الحق والهدى، فـ«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]، و«إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»[2]، فبادرْ لوردك منه قبل أن يُحال بينك وبينه، فإن القرآن الكريم هو الذي يثبتك في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

فكل آية تستطيع حفظها وتدبرها اجعل لك فيها نصيب، لا تتردد أنت في زمن تحتاج لما يثبتك، جاهد نفسك فأنت بحاجة إلى اغتنام الوقت بما يعود لك فيه بالخير، فإذا ذهبت الدقيقة والساعة من وقتك يستحيل رجوعها، وهكذا الأعمار تمضي، والسعدي من اغتنم وقته في الخير.

وفقني الله وإياكم لتلاوة القرآن حق تلاوته، والعمل به، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٨).

(٥) الابتعاد عن الشبهات والشهوات

من أسباب الثبات على الدين الابتعاد عن الشبهات والشهوات؛ لأنهما أصل كل انحرافٍ في العقيدة والفكر والسلوك.

فالشبهات تفسد العقل والعقيدة، والشهوات تفسد القلب والعمل، ومن اجتمعت عليه الفتنتان زلّ عن الصراط المستقيم من حيث لا يشعر، وقد حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[(١)].

فمن ترك ما اشتبه عليه حفظ الله عَزَّوَجَلَّ له دينه من التصدّع، ووقاه مزالق الفتن التي تتخفّى أحيانًا في صورة فكرٍ أو لذّةٍ أو طموحٍ بريء.

ونحن اليوم نعيش في زمنٍ كثرت فيه فتن الشبهات والشهوات، وتنوّعت فيه وسائل الوصول إليها حتى أصبحت تلاحق الإنسان في بيته وجيبه عبر الجوال

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٢)، ومسلم، برقم (١٥٩٩).

والشاشات والنت والتلفاز، فلا نجاة إلا لمن عصمه الله عَزَّوَجَلَّ، ووقاه بالعلم النافع، واليقين الراسخ، ومجاهدة النفس عن مواطن الزلل.

والإنسان إذا ابتعد عن الشبهات حفظ الله جَلَّوَعَلَا له بصيرته، وإذا جاهد شهوته ودافعها لله جَلَّجَلَالُهُ رفع الله سبحانه منزلته، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت:٦٩].

فالثبات لا يتحقق إلا لمن نظّف طريقه من العوائق، وأشد العوائق عن الصراط المستقيم ظلمةً هي شبهةٌ في العقل، وشهوةٌ في القلب؛ فاحذر أن تسكن فيك إحداهما، فإنهما كما قيل: يبدآن همسًا وينتهيان هدمًا.

ثبتنا الله وإياكم على الحق والهدى، والحمد لله رب العالمين.

(٦) المحافظة على النوافل بجانب المحافظة على الفرائض

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن النوافل هي مفتاح محبة الله عَزَّوَجَلَّ، وهي السياج الواقي الذي يحفظ الفرائض ويُقوي بنيان الإيمان، إن الثبات على الدين ليس بالفرائض وحدها، بل بـالتقرب المستمر الذي يُورث المحبة الإلهية.

يقول الله جَلَّوَعَلَا في الحديث القدسي العظيم: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[(١)].

فهذا الحديث العظيم أبان فيه الله جَلَّوَعَلَا حقيقة عظيمة وهي: أن التقرب إلى الله جَلَّوَعَلَا بفعل الفرائض أحب شيء إلى الله سبحانه، وبين أن التقرب إليه بالنوافل ليس مجرد زيادة في الأجر فحسب بل هو سبب لمحبته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومن نال محبة الله، فقد وفقه الله وسدده وثبته، فلا يسمع إلا الخير، ولا يبصر إلا الخير، ويدفع عنه سمع الحرام، والنظر إلى الحرام، وكذا يوفقه ويسدده فلا تمتد يده للحرام، ولا يمشي إلى الحرام، وإن سأل الله جَلَّوَعَلَا أعطاه، وإن استعاذ به أعاذه، فأي فضل وخير في هذه الحياة أن يحبك الله عَزَّوَجَلَّ فيوفقك لكل خير ويصرف عنك الشر والحرام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٥٠٢).

أيها الأخ الفاضل: أترغب في هذا الخير، أتريد الثبات على هذا الدين؟

باختصار اجعل النوافل زادك، والنوافل متعددة ومتنوعة، فمنها السنن الرواتب، ومنها صلاة الضحى، وصلاة الليل، وصيام الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، وصيام ست شوال، ويوم عرفة وتاسوعاء مع عاشوراء، والصدقات والإحسان إلى الخلق، وغيرها، فالنوافل هي الطريق الأقصر والأقوى لنيل محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أحبه الله ثبته، وعصمه من الزيغ والضلال.

والنوافل أيضًا حماية ربانية مباشرة، تُعينك على الثبات في مواجهة الشهوات والشبهات، وأيضًا النوافل تجبر النقص والخلل الذي يقع في الفرائض، وهي تُعدّ بمثابة صمام أمان للعبادات الأساسية قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الرب عَزَّوَجَلَّ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك**»[(١)].

فلا تتأخر عن أي نافلة من النوافل فأنت بحاجة إلى ما يثقل موازينك ويثبتك في الحياة الدنيا والآخرة، والنوافل هي خير زاد في الحياة، وهي التي تُقوي صلتك بالله جَلَّوَعَلَا، وتُرسخ قدمك على الصراط المستقيم. فبادرْ بها وأنت في صحة وعافية قبل أن يُحال بينك وبينها المرض أو الزلل وتنكب الصراط والانحراف والضلال.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٨٦٤)، والترمذي في سننه، برقم (٤١٣)، والنسائي في سننه، برقم (٤٦٥)، وأحمد في المسند، برقم (١٦٩٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٠٢٠)، وفي صحيح أبي داود (٨١٠ و٨١٢).

فكل نافلة تستطيع أداءها اجعل لك فيها نصيب، لا تتردد، جاهد نفسك وسارع وسابق، فالأيام تمضي وكل ما ذهب يوم يقربنا إلى القبر، وفقني الله عَزَّوَجَلَّ وإياكم للمحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل، وختم لنا ولكم بالحسنى وتوفانا وهو راض عنا، والحمد لله رب العالمين.

(٧) الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هو حياة القلوب، وهو الحصن الحصين الذي يقي المؤمن من وساوس الشيطان وزيغ الفتن، فمن لازم ذكر الله جَلَّوَعَلَا ثبته الله سبحانه في الدنيا والآخرة.

إن الذكر أيها الأفاضل: ليس مجرد كلمات تُردد باللسان، بل هو حضور القلب مع الخالق، وهو صلة دائمة لا تنقطع.

يقول الله جَلَّوَعَلَا آمراً وموجهاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [سورة الأحزاب:٤١-٤٢]، فجعل الله الإكثار من الذكر صفة للمؤمنين الصادقين، وسبباً لنجاتهم.

فيا طالب الثبات ثبتنا الله عَزَّوَجَلَّ وإياك على الحق والهدى، اجعل ذكر الله جَلَّوَعَلَا ديدنك:

- الذكر هو الثبات في المعركة: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥﴾ [سورة الأنفال:٤٥]. فجعل الله الإكثار من الذكر سببًا مباشرًا للثبات عند لقاء العدو، فكيف بالثبات أمام فتن الدنيا؟

- الذكر هو الطمأنينة: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [سورة الرعد:٢٨]. فمن اطمأن قلبه بذكر الله جَلَّوَعَلَا، لم تزعزعه الفتن ولم تُقلقه الشبهات، قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"أنه -يعني الذكر- قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر"[1].

- الذكر هو النجاة: عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»[2].

فمن أراد النجاة من عذاب الدنيا والآخرة، فليكثر من ذكر الله.

- والذكر سبب في ترك كثير من المنكرات والفتن: قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "أنه سبب اشتغال اللسان عن: الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل.

فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٢٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٦٤٤).

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[١].

فلا تتأخر أيها الأخ الفاضل عن لحظة ذكر لاحت لك فرصة، ولا تتردد في تسبيحة، أو تهليلة، أو تحميدة، أو استغفار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟"[٢].

فبادرْ به قبل أن يُحال بينك وبينه، فإن الذكر ليس مجرد عبادة مستقلة، بل هو من أعظم أسباب الثبات عند اضطراب القلوب.

وقد دعانا النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المبادرة بالأعمال قبل أن تحل علينا الفتن كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[٣].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفائدة المبادرة بالعمل إمكانه قبل شغل البال والحشد بالفتن، وقطعها عن العمل"[٤].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٣).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١١٨).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٤٠٥).

وقال ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في هذا الحديث من الفقه الحث على مبادرة الفتن بالأعمال، فإن من الفتن ما يعرض للقلوب فتصبح مؤمنة وتمسي كافرة في تلك الفتنة، فتثبط العامل عن عمله، أو بعمله ما يعمل على ارتياب وشك؛ فلا ينفعه عمله، وهذه الفتن قد يكون فيها ما يعم الناس. وقد يكون فيها ما يخص، وأن منها الكلمة الخبيثة؛ التي يقذفها الشيطان على لسان ولي من أولياء الشيطان ليقولها، إما جادًا أو هازلًا، ليسمعها الضعيف القلب فيفتتن بها؛ الفتنة التي لا يخلص منها إلى يوم القيامة؛ لأن القلوب كثيرة التقلب من ربقة الحق، شديدة التطلع إلى منافذ الضلال، فإذا قذف في روعها شيء من المضللات وجد عندها داء قاتلًا وشرًا مستعدًا، كالنار التي تقع في الخراق، فينبغي للإنسان أن يكون أشد خوفًا وحذرًا على دينه وإيمانه، متعاهدًا له بالذكر ومدارسة القرآن، وامتثال أمر القرآن، بالنظر والتدبر والفكر المؤدي له إلى الحق صباح مساء؛ بل في كل وقت ونفس وساعة"[1].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر"[2].

ومن الأعمال السهلة على الإنسان ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فإنه من أعظم الصوارف عن الفتن؛ وذلك لأنه شديد على الشيطان الداعي للشرور والفتن، قال الحافظ ابن

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٦٣-١٦٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣).

القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة -يعني أن الذكر حرز من الشيطان- لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه.

وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سمي الوسواس الخناس أي يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي كف وأنقبض، قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس"[1].

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالواجبُ على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أنْ لا يقدِرَ عليها ويُحال بينه وبينها، إمَّا بمرضٍ أو موت، أو بأنْ يُدركه بعضُ هذه الآيات التي لا يُقبل معها عمل.

قال أبو حازم: "إن بضاعة الآخرة كاسدة ويوشك أن تنفق، فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير".

ومتى حيل بين الإنسان والعمل لم يبق له إلا الحسرة والأسف عليها، يتمنى الرجوع إلى حالةٍ يتمكن فيها من العمل، فلا تنفعُهُ الأمنية"[2].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص:٣٦-٣٧)، وأثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، برقم (٣٤٧٧٤)، وأبو داود في الزهد، برقم (٣٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (٣/ ١١٤١-١١٤٢).

فكل ذكر تستطيع أن تُردده اجعل لك فيه نصيب، لا تتردد، جاهد نفسك، فأنت أيام، وإذا ذهبت الدقيقة من وقتك يستحيل رجوعها.

وفقني الله عَزَّوَجَلَّ وإياكم للإكثار من ذكره وشكره وحسن عبادته، والحمد لله رب العالمين.

(٨) المحافظة على الأذكار اليومية (حصن نفسك)

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أنه ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة من الأذكار الواردة التي يُحصن المسلم بها نفسه من الشرور والآفات، وتنال بها فضلًا عظيمًا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي الحصن الحصين، وهي السلاح الذي لا يخطئ، وهي أيضًا بمثابة الجرعات الإيمانية الوقائية التي تُحصن المسلم في يومه وليلته.

إن المحافظة على أذكار الصباح والمساء وأذكار ما بعد الصلوات هي تطبيق عملي لأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالإكثار من الذكر، حيث قال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٥]، فهنا يأمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أن يذكروه جَلَّجَلَالُهُ كثيرًا وهم في ساحات الوغى، ووقت منازلة الأعداء وهذا فيه إشارة أن الذكر سبب في الثبات أمام أعداء الله عَزَّوَجَلَّ وسبب لفلاحهم ونصرهم.

وأثنى الله جَلَّجَلَالُهُ على الذاكرين الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا والذاكرات وأخبر بأنه جَلَّوَعَلَا أعد لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا فقال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٥].

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت»[(١)]، وهذا في الذكر المطلق، وقد سبق الحديث

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٤٠٧)، ومسلم في صحيحه، برقم (٧٧٩).

عنه في الحلقة السابقة، وهنا يرد سؤال: ما مقدار الذكر الذي يصير به المؤمن من الذاكرين الله كثيرًا؟

يجيب على ذلك العلامة ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: إِذا واظب على الْأَذْكَار المأثورة المثبتة صباحًا وَمَسَاءً، وَفِي الْأَوْقَات وَالْأَحْوَال الْمُخْتَلفَة فِي ليل العَبْد ونهاره، وَهِي مبينَة فِي كتاب عمل الْيَوْم وَاللَّيْلَة كَانَ من الذَّاكِرِينَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كثيرًا"[1].

فليحرص الإنسان المؤمن على المحافظة على الأذكار التي تشرع للعبد في يومه وليلته، وأولها دعاء الاستيقاظ من النوم، ثم الدخول والخروج من المنزل وكذا المسجد، وأذكار الصباح والمساء، والأذكار التي تقال بعد الصلوات، وأذكار النوم، ليحيى قلبك يا عبدالله ويثبت على هذا الدين، وتكون لك حصنًا حصينًا من الشيطان ووقاية من العين والحسد، وسبب في الرزق والوقت.

- **فأذكار الصباح والمساء**: هي بمثابة تأمين إلهي ليومك وليلتك. وورد في فضل كل ذكر منها فضيلة نذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

سيد الاستغفار: عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، قال: «**ومن قالها من**

(١) فتاوى ابن الصلاح (١/ ١٥٠).

النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»[(١)].

ومنها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: «أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك»[(٢)].

ومنها: عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم تصبه فجأة بلاء، حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات، لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»[(٣)].

ومنها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال: حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٠٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٥٠٨٨)، والترمذي في سننه، برقم (٣٣٨٨)، واللفظ لأبي داود، وأحمد في المسند، برقم (٤٤٦)، وحسنه محققو المسند، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند، والشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٤٢٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٦٩٢).

هذه بعض الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، وهي بحمد لله موجودة في كتاب حصن المسلم، والكتاب لا يخلوا منه بيت والله أعلم.

- **الأذكار التي تقال بعد الصلوات**: إذا سلم العبد من صلاته استغفر ثلاثًا، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام**»[(١)].

ومنها قراءة آية الكرسي: عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**»[(٢)].

ومنها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال: تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[(٣)]، وغيرها.

أخي المبارك هذه بعض ما ورد من أذكار تقال بعد الصلوات كأمثلة على ما ورد فيها من فضل ولا أظن أنها تخفى على المصلين، لكن أحيانًا قد يخفى فضلها على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٥٩١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم (٩٨٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٤٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٥٩٧).

الذاكر، فاحرص على أدائها فإنها إنها تُقوي الصلة بالله عَزَّوَجَلَّ وتقوي إيمان العبد بربه جَلَّوَعَلَا، وتُرسخ اليقين في القلب.

وليحرص الإنسان المؤمن أن يكون لسانه رطبًا بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، ذكارًا للأذكار المطلقة والمقيدة، وليعلم أن كل ذكر ورد عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو نور وهداية، فلا زمها بحضور قلب وتدبر لمعانيها لتكون على بصيرة من أمرك، ويثبت الله عَزَّوَجَلَّ قلبك على الحق والهدى.

ولا تتأخر عن وردك من الأذكار، وذكر أهلك وأولادك بها وحفظهم إياها لتنال الثواب والأجر العظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، بادر بها قبل أن يُحال بينك وبينها، أنت في صحة وعافية ولسانك في صحة وعافية فبادر وأشغل لسانك بها فالذكر على اللسان خفيف وثقيل في الميزان، فاللسان إن لم تشغله بالذكر والطاعة انطلق في المعاصي وجلب الآثام والأوزار بالوقيعة في الغيبة والبهتان والنميمة، واشتغل بفضول الكلام المؤدي إلى الحرام ولا بد.

وتذكر أنك حين تذكر الله عَزَّوَجَلَّ فإن ذلك سبب لذكر الله جَلَّوَعَلَا لك، فأي منزلة وأي رفعة وفضل أن يذكرك الله جَلَّجَلَالُهُ العظيم، جاهد نفسك فالزمن يسير والزاد قليل فلنتزود أيها الأفاضل بهذه العبادة العظيمة ولنحرص الأذكار المقيدة والمطلقة فكل دقيقة تذهب هي من عمرك وتقربك للقبر فإن لم تجعل لك فيها خيرًا سيأتي يوم تتحسر على إضاعتها، أسأل الله العظيم أن يوفقنا وإياكم لذكره وتسبيحه

وشكره وتعظيمه، وأن يوفقنا للمحافظة على الأذكار الواردة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحمد لله رب العالمين.

(٩) الإكثار من الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ والاستعانة به

اعلم أخي المبارك رحمني الله وإياك أن الدعاء هو العبادة، فأخلص النية وألح على الله جَلَّوَعَلَا بالدعاء وطلب الهداية فمن طلب الهداية منه سبحانه بصدق هداه الله جَلَّوَعَلَا، يقول الله جَلَّجَلَالُهُ في حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صحيح مسلم فيما يرويه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم...**»[(١)].

ولأهمية الهداية نسألها الله جَلَّوَعَلَا في كل ركعة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [سورة الفاتحة:٦].

وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكثر الدعاء لله عَزَّوَجَلَّ أن يثبته على الدين، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»[(٢)].

وأخرجه الترمذي[(٣)]، أيضًا من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بلفظ مقارب لحديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٤٠)، وأحمد في المسند، برقم (١٢١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٧٩٨٧).

(٣) برقم (٣٥٢٢)، وأحمد في المسند، برقم (٢٦٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٨٠١).

وأخرجه أحمد في المسند من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دعوات كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يدعو بها: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت: يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء، فقال: إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه»[(١)].

فهذا الحديث العظيم أبان فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة عظيمة وهي: أن الثبات على الدين ليس بالذكاءِ، ولا بالعلم، ولا بالمنزلة، بل برحمة الله جَلَّجَلَالُهُ وتوفيقه سبحانه.

فالدعاء سبب مباشر للهداية لأن الله سبحانه هو الهادي وبيده كل شيء ومن ذلك الهداية، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة القصص:٥٦].

والدعاء صلة عظيمة بين العبد وربه جَلَّوَعَلَا، فمن أكثر الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عَزَّوَجَلَّ له أبواب العلم والعمل ووفقه وشرح صدره للحق وقبوله ووقاه مسالك الهوى والضلال.

والدعاء أيضًا سبب للثبات بعد الهداية وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الدعاء أن يثبت الله جَلَّجَلَالُهُ قلبه على الدين كما سبق.

وأيضًا وأنت تدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن تعبد الله سبحانه استشعر ضعفك وفقرك لله جَلَّجَلَالُهُ واستشعر أيضًا عظمة الله وأنه بيده كل شيء، وقد أمرنا بالدعاء ووعدنا

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٤٦٠٤)، وصححه محققو المسند.

بالإجابة في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

فالدعاء سلاح المؤمن، وزاد الموحّد، وحصن الثابتين في زمن الفتن، ومن لازم الدعاء بالهداية والثبات فتح الله عَزَّوَجَلَّ له أبواب الخير، ووقاه مواطن الزيغ والضلال، وثبّته على الصراط المستقيم حتى يلقى ربه جَلَّوَعَلَا وهو راضٍ عنه.

(١٠) الزهد في الدنيا وزخرفها، ومصاحبة الصالحين

من أسباب الثبات على الدين الزهد في الدنيا ومعرفة حقيقتها؛ فالدنيا مهما اتسعت متاعٌ زائل، وزخرفٌ خادع، قال الله جَلَّوَعَلَا في وصفها: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

فإذا أيقن الإنسان بفنائها، وأنها متاع زائل، ورأى بعين بصره وبصيرته سرعة انقضائها، وكم من أخوة وأحباب له قد رحلوا عنها وتركوها خلف ظهورهم، لم يأسفْ على ما فاته منها، ولم يغترّ بزخارفها، بل يزهد فيها، ويطلب ما عند الله جَلَّجَلَالُهُ والدار الآخرة.

ولا أعني بالزهد في الدنيا ترك المال أو العمل فيها، وإنما المراد بأن لا يكون المال في قلب الإنسان وإنما يكون في يده، بحيث أنه لا يفرح الإنسان بما أُعطي فهو مسؤول عنه من أين أتاه وفيم أنفقه، ولا يحزن على ما مُنع من زخرف الدنيا بل يجعل الدنيا مزرعةً للآخرة.

ومن عرف أن الآخرة هي الحياة الحقيقية استصغر ما دونها، واستقام قلبه على طاعة الله جَلَّجَلَالُهُ، وثبت في مواطن الفتن؛ لأنه عرف حقيقة الدنيا وأنها ليست

هدفًا يستحق أن يُفتن بها فإنها زائلة ولا بد، وأن الدار الحقيقية الدائمة هي الآخرة فيزهد فيما سوى الباقية.

ومما يُعين على الثبات بعد معرفة حقيقة الدنيا مصاحبة الصالحين؛ فالقلب يضعف وحده ويقوى بالجماعة، وقد أرشد الله عَزَّوَجَلَّ لهذا في قوله سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [سورة الكهف:٢٨].

فصحبة الصالحين تذكّر بالله جَلَّوَعَلَا، وتعين على طاعته لذا شُرعت كثير من العبادات جماعة، وتُذكّر بالآخرة، وتُطفئ نار الفتنة حين تشتعل، فالإنسان قد يزلّ وحده، لكنه يثبت مع الرفقة الصالحة التي تذكّره بالله جَلَّجَلَالُهُ، وتردّه إلى الطريق إذا ضعف.

فالزهد في الدنيا يُطهّر القلب من التعلق بالزائل، ومجالسة الصالحين تُثبّت القدم على الحق والهدى، ومن جمعهما فقد أخذ بأقوى أسباب الثبات على الدين.

أسأل الله جَلَّجَلَالُهُ أن ينفعني الله وإياكم بهذا التذكرة، وأن ينفع بها من اطلع عليها، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يبصرنا بطرق الضلال والهوى ويجنبنا، ويُيسر لنا طُرق الهداية والاستمرار عليها، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

هذا والله عَزَّوَجَلَّ أعلى وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني: تزكية القلوب وإصلاح النفوس

القلب هو موضع نظر الرب سبحانه، وإذا صلح القلب صلح العمل، وإذا فسد فسد العمل كله.

ولهذا كانت العناية بإصلاح القلوب وتزكية النفوس من أعظم مقاصد الشريعة، إذ لا ينفع العبد يوم القيامة إلا قلبٌ سليم، امتلأ بمحبة الله وتعظيمه ومراقبته.

وفي هذا الباب مجموعة من المقالات التي تتحدث عن غذاء القلوب ودوائها، ومراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيم شأن القرآن الكريم، والتذكير بحقيقة الدنيا وسرعة زوالها، لعلها تكون سببًا في إيقاظ القلب وتجديد صلته بربه.

غذاء القلوب ودواؤها

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدّر فهدى، والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي خضم صراعات الحياة وتسارع إيقاعها، قد يغفل الإنسان عن أهم جزء في كيانه، وأثمن ما فيه: قلبه. فالقلب ليس تلك المضغة التي تضخ الدم فحسب، بل ذلك الملك الذي يسوس الجوارح كلها.

وإن السعادة الحقيقية للإنسان وشقاءه الأبدي مرتبطان بصحة هذا القلب وسلامته، وقد أبدع الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تشخيص حال هذا الملك، فبيّن لنا ما هو غذاؤه الذي يحييه، وما هو داؤه الذي يمرضه، وكيف السبيل إلى دوائه وشفائه، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1].

فلنقرأ هذه الكلمات التي حق لها أن تكتب بماء الذهب ولنُصغِ بقلوبنا إلى كلماته الذهبية النيرة، علّنا نجد فيها الدليل إلى حياة قلوبنا وسعادتها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "خلق الله سبحانه ابن آدم وأعضاءه، وجعل لكل عضو منها كمالًا، إذا فقده أحس بالألم، وجعل لملكها وهو القلب كمالا، إذا فقده حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والأحزان.

فإذا فقدت العين ما خلقت له من قوة الإبصار، وفقدت الأذن ما خلقت له من قوة السمع، واللسان ما خلق له من قوة الكلام، فقدت كمالها.

والقلب: خلق لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده والسرور به، والابتهاج بحبه، والرضى عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والبغض فيه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، وأجل في قلبه من كل ما سواه، ولا نعيم له ولا سرور ولا لذة بل ولا حياة إلا

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم، برقم (١٥٩٩).

بذلك، وهذا له بمنزلة الغذاء، والصحة، والحياة، فإذا فقد غذاءه، وصحته، وحياته؛ فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صوب إليه، ورهن مقيم عليه.

ومن أعظم أدوائه: الشرك والذنوب والغفلة والاستهانة بمحابه ومراضيه، وترك التفويض إليه، وقلة الاعتماد عليه، والركون إلى ما سواه، والسخط بمقدوره، والشك في وعده ووعيده.

وإذا تأملت أمراض القلب وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابها لا سبب لها سواها، فدواؤه الذي لا دواء له سواه ما تضمنته هذه العلاجات النبوية من الأمور المضادة لهذه الأدواء، فإن المرض يزال بالضد، والصحة تحفظ بالمثل، فصحته تحفظ بهذه الأمور النبوية، وأمراضه بأضدادها.

فالتوحيد: يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج، والتوبة استفراغ للأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سبب أسقامه، وحمية له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار"[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: "والذنوب للقلب بمنزلة السموم، إن لم تهلكه أضعفته، ولا بد وإذا ضعفت قوته، لم يقدر على مقاومة الأمراض، قال طبيب القلوب عبدالله بن المبارك:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٥-١٨٦).

رأيت الذنوب تميت القلوب *** وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب *** وخير لنفسك عصيانها

فالهوى أكبر أدوائها، ومخالفته أعظم أدويتها، والنفس في الأصل خلقت جاهلة ظالمة، فهي لجهلها تظن شفاءها في اتباع هواها، وإنما فيه تلفها وعطبها ولظلمها لا تقبل من الطبيب الناصح، بل تضع الداء موضع الدواء، فتعتمده وتضع الدواء موضع الداء، فتجتنبه فيتولد من بين إيثارها للداء، واجتنابها للدواء، أنواع من الأسقام والعلل التي تعيي الأطباء ويتعذر معها الشفاء.

والمصيبة العظمى أنها تُركب ذلك على القدر فتبرئ نفسها، وتلوم ربها بلسان الحال دائمًا، ويقوى اللوم حتى يصرح به اللسان.

وإذا وصل العليل إلى هذه الحال، فلا يطمع في برئه إلا أن تتداركه رحمة من ربه، فيحييه حياة جديدة، ويرزقه طريقة حميدة"[1].

وهكذا يتجلى لنا بوضوح أخي الحبيب! أن قضية القلب هي القضية الأولى؛ لأن صلاح هذا القلب سبب لصلاح سائر الجوارح، وبفساده تفسد كلها، وأن رحلة البحث عن السعادة هي غوص في أعماق الذات؛ لتطهير هذا القلب الذي بين جنبيك وتزكيته.

فليكن همنا الأول والأكبر هو أن نلقى الله عَزَّوَجَلَّ بقلب سليم، قلب يملؤه التوحيد، وتغسله التوبة النصوح، ويزينه الرضا واليقين.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٦-١٨٧).

فلنتعاهد قلوبنا أيها الأفاضل اليوم، فالقلب محل نظر الرب جَلَّوَعَلَا، فلنحرص على نظافته وسلامته قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩]، وسلامته إنما تكون بالنجاة من هذه الأدواء، ومجاهدة النفس على ضدها.

اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك. ويا مصرف القلوب، صرف قلوبنا إلى طاعتك.

اللهم إنا نسألك قلوبًا سليمة، وألسنة ذاكرة، ونفوسًا بك مطمئنة، اللهم املأ قلوبنا بحبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

اللهم طهر قلوبنا من الشرك والنفاق، والغل والحسد، واجعلها عامرة بالإيمان واليقين والتوحيد.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراقبة الخالق عَزَّوَجَلَّ في الحركات والسكنات

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١]، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلك أخي المبارك أن تتأمل في هذه الآيات المباركة:

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: ١١٠] [سورة البقرة:١١٠].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾ [سورة البقرة:٢٧١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾ [سورة البقرة:٢٨٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾ [سورة آل عمران:٥]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يخبر تعالى أنه يعلم غيب السماوات والأرض، ولا يخفى عليه شيء من ذلك"[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١]: " أي: هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم كما قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾ [سورة المجادلة:٦].

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٦).

وفي الحديث الصحيح: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[(١)]، وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب"[(٢)].

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقبا لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه"[(٣)].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [سورة المجادلة:٦]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ أي: يخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ أي: لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئًا"[(٤)].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [سورة العلق:١٤]، فالله جَلَّ جَلَالُهُ بصير بعباده وما يعملون، خبير بهم، يراهم، ويعلم أحوالهم وأعمالهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه جَلَّ جَلَالُهُ.

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٥٠)، وبرقم (٤٧٧٧)، ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم (٧)، قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٢٠٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٦٣).

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٤١).

فلنجعل هذه الآيات وغيرها كثير نصب أعيننا، ولنتذكرها في كل خطوة نخطوها، وفي كل كلمة ننطق بها، وفي كل فكرة تجول بالخاطر.

هذه الآيات أيها الأحبة كفيلة بأن تجعلنا نراقب الله عَزَّوَجَلَّ في كل أحوالنا، فنستقيم على أمره، ونجتنب نهيه، فمراقبة الله جَلَّوَعَلَا هي مفتاح مرتبة الإحسان.

أخي المبارك: ماذا لو استشعر الإنسان أن كاميرات المراقبة تلاحقه في كل مكان؟

كيف سينضبط سلوكه؟ ولله عَزَّوَجَلَّ المثل الأعلى.

فكيف بعبدٍ يعلم أن خالق السماوات والأرض جَلَّجَلَالُهُ يرقبُ حتى خلجات قلبه؟!

فلنحرص أيها الأفاضل: على ألا يرانا الله عَزَّوَجَلَّ حيث نهانا، وأن يرانا جَلَّوَعَلَا حيث أمرنا، فمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ هي بوصلة الاستقامة وأساسها، فليكن شعارنا في الخلوة والجلوة: (إن الله معنا، الله ناظرنا، الله شاهد علينا مطلع علينا)، فبالمراقبة لله عَزَّوَجَلَّ ترتقي النفوس، وتصل إلى مرتبة الإحسان.

اللهم نسألك خشيتك ومراقبتك في جميع أعمالنا.

ونسألك يا الله أن تجعلنا ممن يعبدك كأنه يراك، وممن يستحي منك حق الحياء، وطهرت قلوبهم من الرياء، وعمرت سرائرهم باليقين.

اللهم ارزقنا حسن المراقبة لك في القول والعمل، واختم بالصالحات أعمالنا.

التوكل على الله عبادة قلبية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [سورة المائدة:٢٣]، والصلاة والسلام على نبينا محمد إمام المتقين المتوكلين القائل: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت»(١)، وعلى آله وصحبه، أجمعين، أما بعد:

فإن من أهم العبادات القلبية عبادة التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أعلى مقامات توحيد الله جَلَّوَعَلَا، والمسلم إذا عرف ربه معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته فإن ذلك يورث في نفسه ثقة عظيمة بالله عَزَّوَجَلَّ، فيركن إليه العبد، ويفوِّض أمره إليه، ويعلِّق قلبه به وحده دون سواه؛ لأن الله سبحانه وحده الذي يملك النفع والضر، والعطاء والمنع، والكفاية والنصر، وبهذا يجتمع شعث القلب، وتسكن النفس، ويطمئن العبد، ويستريح من ألوان المعاناة التي تحصلُ لغير المتوكلين على الله عَزَّوَجَلَّ، فهو بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كل لحظة، فالتوكل اعتماد القلب على الله سبحانه واستناده إليه وسكونه إليه، وتفويض الأمور كلها إليه سبحانه القادر على كل شيء القوي الخالق العظيم، وقطع علائق القلب بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

ولأهمية هذه العبادة العظيمة كان الحديث عنها في هذه الورقات، فاللهم إني أبرأ من حولي وقوتي، وأسأل الله التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل وأن

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها، برقم (١١٢٠)، و (٦٣١٧)، و(٧٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، برقم (٧٦٩)، و(٢٧١٧).

يجنبني الزلل في القول والعمل، وأسأله أن ينفع بها كاتبها وقارئها والمطلع عليها إنه سميع قريب مجيب، فأقول مستعيناً بالله سبحانه متوكلاً عليه:

تعريف التوكل

أولاً: التوكل في اللغة:

يقال: وَكِل بالله، وتوكَّل عليه، واتَّكل: استسلم إليه. وتوكَّل بالأمر: إذا ضمن القيام به. ووكَّلْتُ أمري إلى فلان: اعتمدت في أمري عليه. ووكَّل فلانٌ فلاناً: إذا عجز عن القيام بأمر نفسه، أو وثق فيه بأن يقوم بأمره. ووكلَ إليه الأمر سلمه[(١)].

وقال الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وحقيقة التوكل: إظهار العجز والاعتماد على الغير"[(٢)].

ثانياً: التوكل في الاصطلاح:

لأهل العلم تعريفات متعددة منها:

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هو صدقُ اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ في استجلاب المصالح، ودفعِ المضارِّ من أمور الدنيا والآخرة كُلِّها"[(٣)].

وقال سعيدُ بنُ جبير: "التوكل على الله جِماع الإيمان"[(٤)].

وقال الحسن: "إنَّ توكلَ العبد على ربِّه أنْ يعلمَ أن الله هو ثقته"[(٥)].

---

(١) لسان العرب (١١/ ٧٣٤).

(٢) تاج العروس (٣١/ ٩٨).

(٣) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (٣/ ١٢٦٦)].

(٤) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، برقم (٢٩٥٨٩)، و(٣٥٣٤٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٢٦٢). وينظر: جامع العلوم والحكم (٣/١٢٦٦).

(٥) جامع العلوم والحكم (٣/١٢٦٦).

وقال الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التوكل: الثقة بما عند الله، واليأس مما في أيدي الناس"[(١)].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التوكل نصف الدين، ونصفه الثاني الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة"[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التوكل هو صدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ في جلب المنافع، ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها"[(٣)].

الأدلة على التوكل من القرآن الكريم

الآيات الآمرة بالتوكل

التوكل على الله جَلَّوَعَلَا عبادة قلبيه يجب على كل مسلم أن يتعبد الله سبحانه بهذه العبادة، وقد أمر الله جَلَّجَلَالُهُ بها في كتابه الكريم في مواضع منها: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المائدة:٢٣].

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة آل عمران:١٢٢]، وهذه الآية تكررت في سبعة مواضع في القرآن الكريم في سورة آل عمران في موضعين، وفي سورة المائدة، وفي سورة التوبة، وفي سورة إبراهيم، وفي سورة المجادلة، وفي سورة التغابن.

---

(١) تاج العروس (٣١/ ٩٨).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١١٣).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦٣/١).

وأمر جَلَّوَعَلَا بالتوكل عليه وأخبر أنه يحب المتوكلين، فقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران:١٥٩].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الفرقان:٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [سورة الشعراء:٢١٧].

الآيات المبينة لصفات المتوكلين

المتوكلون بين الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ صفاتهم في كتابه فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الأنفال:٢].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة يونس:٨٤-٨٥].

الآيات المبينة لجزاء المتوكلين

وبين الله جَلَّوَعَلَا جزاء المتوكلين عليه سبحانه فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الطلاق:٣].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ﴾ [سورة الطلاق:٢-٣].

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة النحل:٩٩].

الأدلة على التوكل من السنة النبوية:

كما أن السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ورد فيها أحاديث كثيرة تدل على فضل التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والحث عليه، ومن ذلك:

حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[1]، أخرجه الترمذي وأحمد.

وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[2]، متفق عليه.

وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل»[3]، أخرجه الترمذي، وحسنه.

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه، برقم (٤١٦٤)، وأحمد في المسند، برقم (٢٠٥)، وقال محققوه: "إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن هبيرة، فمن رجال مسلم"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها، برقم (١١٢٠)، و (٦٣١٧)، و(٧٣٨٥)، ومسلم في صحيحه، برقم (٧٦٩)، و(٢٧١٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٥١٧)، وابن حبان في صحيحه، برقم (٧٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٠٦٨).

آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»[1]، أخرجه مسلم.

حقيقة التوكل، وضرورة الأخذ بالأسباب

فحقيقة التوكل أيها الأحبة: اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ مع الأخذ بالأسباب مع التيقن الكامل بأن الله هو الرازق الخالق المحيي المميت، لا إله غيره ولا رب سواه.

والتوكل أعم من الاستعانة، فإن الاستعانة هي أن تطلب من الله أن يعينك على فعل أمر من الأمور.

أما التوكل فيدخل فيه الاستعانة، فتتوكل على الله في إعانتك على أمورك، والتوكل أوسع وأشمل من ذلك، فيدخل فيه التوكل على الله في جلب المنافع ودفع المضار، وغير ذلك من الأمور.

وللإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ نفيس في التوكل على الله جَلَّوَعَلَا، وهذا مختصرٌ منه: التوكّل مركب السائر إلى الله من أول قدم يضعه في الطريق إلى نهايته، لا يتأتّى له السير إلا به، ومتى نزل عنه انقطع لوقته.

وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته؛ فجعل الله التوكّل شرطًا في الإيمان، ودليلًا على صحة الإسلام، فدلّ على أن قوة التوكّل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٢٠)

وقد جمع الله بين التوكّل والعبادة، والإيمان، والإسلام، والتقوى، والهداية؛ فالتوكّل أعظم الوسائل، والإنابة أشرف الغايات، ولا سبيل إلى تلك الغاية إلا بهذه الوسيلة.

والعبد لا بد له من غاية مطلوبة، وهي عبادة الله والإنابة إليه، ووسيلة موصلة، وهي التوكّل عليه والاستعانة به، فبقدر تحقيقه للتوكّل يكون سيره إلى الله.

والهداية والتوكّل متلازمان؛ فمن كان على الحق كان أعظم توكّلًا، لعلمه أن الله وليّ الحق وناصره، وكافي من قام به، فلا ينبغي لصاحب الحق أن يترك التوكّل على الله.

والتوكّل يجمع أصلين: علم القلب وعمله؛ فأما علمه فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكّله إليه، وأما عمله فسكونه إليه، وطمأنينته به، وتفويضه أمره إليه، ورضاه بتدبيره.

فمتى تحقق ذلك كان التوكّل من أعظم أعمال القلوب، بل هو أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، وسائر أعمال الإسلام، إذ لا تقوم إلا به.

والمقصود أن القلب إذا كان على الحق كان أعظم طمأنينة وثقة بالله، وأقوى توكّلًا عليه، وإذا كان على الباطل انقطع عن الله، فلم يكن له وليّ ولا نصير.

فتدبّر هذا السرّ العظيم: اقتران التوكّل بالحق والهداية، وارتباط أحدهما بالآخر، فإن التوكّل أصل الإيمان، وعليه التكلان[1]، انتهى مختصرًا ملخصًا.

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٥٥٧-٥٣٢).

وقد جمع الله بين الأصلين في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة:٥]، فالعبادة له سبحانه والاستعانة به والتوكل عليه وحده لا شريك له.

فإذا تبيّن ذلك، وعلم العبد حقيقة التوكل، فإنه إذا جاءت الأمور على غير ما يتمنى كان شاكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، مفوِّضًا أمره إليه، غير خائفٍ ولا مضطرب؛ لأنه قد اعتمد على ربه الحكيم العليم سبحانه، وتوكّل عليه حق التوكل. فحينئذٍ ينصره الله سبحانه ويؤيده، فيرضى بما قدّر وكتب.

أقوال أهل العلم في الأخذ بالأسباب

ينبغي على الإنسان أن يأخذ بالأسباب لكن من غير اعتماد عليها، فالأخذ بالأسباب هو سيرٌ على السنن الكونية، وأن النافع والضار هو الله وحده، قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء"[(١)].

واتخاذ الأسباب أمر مشروع فقد كان أكبر المتوكلين على الله وأعظمهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخذ الأسباب في مواقف كثيرة؛ ليبين لأمته أن اتخاذها لا ينافي التوكل، ففي طريقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الهجرة اتخذ دليلاً يرشده إلى الطريق، وخرج

(١) الفوائد (ص: ٨٧).

في وقت يغفل فيه الناس، ومن طريق غير الطريق التي تُسلك عادةً، وفي يوم أُحد لبس درعين واحد فوق الآخر، ووضع المغفر على رأسه حين دخل مكة يوم الفتح.

ومما يدل على أهمية الأخذ بالأسباب حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على الحديث: "إِخْبَار بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يرْزق المتوكلين عَلَيْهِ من حَيْثُ لَا يحتسبون، وَأَنه لَا يُخليهم من رزق قطّ كَمَا ترَوْنَ ذَلِك فِي الطير، فَإِنَّهَا تَغْدُو من أوكارها خماصاً فيرزقها سُبْحَانَهُ حَتَّى ترجع بطاناً من رزقه وَأَنْتُم أكْرم على الله من الطير وَسَائِر الْحَيَوَانَات، فَلَو توكلتم عَلَيْهِ لرزقكم من حَيْثُ لَا تحتسبون، وَلم يمْنَع أحدًا مِنْكُم رزقه هَذَا من قبيل الْإِخْبَار"[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع"[(٣)].

مواقف نبوية في الأخذ بالأسباب

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه، برقم (٤١٦٤)، وأحمد في المسند، برقم (٢٠٥)، وقال محققوه: "إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن هبيرة، فمن رجال مسلم"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣١٠).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ٢٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥).

واتخاذ الأسباب أمر مشروع فقد كان أكبر المتوكلين على الله عَزَّوَجَلَّ وأعظمهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتخذ الأسباب في مواقف كثيرة؛ ليبين لأمته أن اتخاذها لا ينافي التوكل:

الموقف الأول: في الهجرة: اتخذ دليلاً يرشده إلى الطريق، وخرج في وقت يغفل فيه الناس، ومن طريق غير الطريق التي تُسلك عادةً.

الموقف الثاني: في الحرب: في يوم أُحد لبس درعين واحد فوق الآخر، ووضع المغفر على رأسه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين دخل مكة يوم الفتح.

الموقف الثالث: في الرزق: أمر بالأخذ بالأسباب كما في حديث: «**اعقلها وتوكل**».

الفرق بين التوكل والتواكل

التوكل كما سبق لا بد فيه من اتخاذ الأسباب من غير اعتماد عليها، أما عدم الأخذ بها فهو تواكل وهو ليس من دين الله عَزَّوَجَلَّ وقد قال الله سبحانه لمريم عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ وهي في حالة ضعف ونفاس آمراً لها بفعل السبب: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة مريم:٢٥]. يؤخذ من الآية أن الله سبحانه لا يكلف النفس ما لا تطيق بل يكفي أحياناً السبب اليسير، وقد يستغربُ البعض ويقول: مريم عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ ضعيفة وفي حال ولادة فكيف تهز هذه النخلة القوية الراسخة ليتساقط عليها الرطب.

فيقال: الله سبحانه أرد أن يعلمنا من خلال هذه القصة أهمية اتخاذ الأسباب ولو كانت الأسباب ضعيفة، فلم يكن لها حيلة في هذا الوقت إلا هذا العمل الضعيف،

ولكن حين توكلت على الله تعالى حق توكله وعملت بالسبب الضعيف أعطاها الله ما تريده وأنالها إياه.

فالله سبحانه قادر على إسقاط التمر بلا سبب ولكن لما كان السبب سنة كونية أمرها بهز الجذع، ثم إذا عُدم الإنسان كل سبب ممكن فلا ينسى أعظم الأسباب وأقواها وهو دعاء الله عَزَّوَجَلَّ العظيم والاستغاثة به جَلَّجَلَالُهُ.

فترك الأسباب أيها الأحبة قدح في العقل، والاعتماد عليها وترك التوكل قدح في التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع"[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التوكل لا ينافي القيام بالأسباب. فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد"[2].

وقال: " فترك الأسباب المأمور بها قادح في التوكل. وقد تولى الحق إيصال العبد بها. وأما ترك الأسباب المباحة فإن تركها لما هو أرجح منها مصلحة فممدوح، وإلا فهو مذموم".

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١١٧).

وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن من نفاها فتوكله مدخول، وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي: أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل، وأن نفيها تمام التوكل. فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة"[1].

والتواكل هو أحد أسباب ضعف الأمة، يجلس الواحد في بيته وينتظر رزقه وهو لا يحرك ساكناً، ولا يفعل سبباً، ويقول: أنا متوكل على الله.

وكذا انتظار الناس أن ينصرهم الله عَزَّوَجَلَّ على أعدائهم ولم يعدوا لذلك علماً ولا عدة، كما هو حال الأمة اليوم. والله المستعان.

أخرج البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة البقرة:١٩٧]"[2].

فأنكر الله تعالى عليهم ادعاءهم التوكل وهم لا يتزودون بشيء مما يعينهم على أمور حجهم.

حكم التوكل

التوكل على الله سبحانه من أعظم الواجبات، وهو شرط الإيمان وذلك مفهوم قول الله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المائدة:٢٣]، فإذا انتفى التوكل انتفى الإيمان.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٥٢٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات كما أن الإخلاص لله واجب وحب الله ورسوله واجب. وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ونهى عن التوكل على غير الله"[1].

والآيات الواردة في الحث على التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ والأمر به سبق ذكرها، وكذا الأحاديث.

ثمرات التوكل

الحديث عن ثمرات التوكل يُحرِّك النفوس، ويدفعها إلى التمسك بهذا الخلق الإيماني العظيم، وذلك أن معرفة ثمرة العمل حافزٌ على فعله والتحقق به، فمن ثمراته ما يلي:

الثمرة الأولى: التزام حدود الله ومجانبة الحرام

التوكل يبعثُ العبدَ على التزام حدود الله تعالى، ومجانبة الحرام: وذلك أن الإنسان إذا علم أن رزقه مقسوم، وأن ما كتب الله عَزَّوَجَلَّ له كائن لا محالة، وأنه مهما عمل واجتهد واحتال على طلب المال فلن يأتيه منه إلا ما كتب الله تعالى، فيكون مفوِّضاً إلى الله سبحانه أمره كله، ويطلب الرزق من حِلِّه، ويدع الحرام.

الثمرة الثانية: طمأنينة النفس وارتياح القلب

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦).

التوكل طمأنينة النفس وارتياح القلب، وطرد الهم: فإذا توكل العبد على ربه حق التوكل، كفاه همَّه، وأراحه مما أهمَّه، وأنزل عليه سكينته فاطمأن إلى حُكمه الديني الشرعي، واطمأنَّ إلى حُكمه الكوني القدري.

الثمرة الثالثة: كفاية الله عَزَّوَجَلَّ للمتوكل

ما يحصل من كفاية الله عَزَّوَجَلَّ للمتوكل عليه في أموره كلها: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣]، أي كافيه. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفعُ بها العبد ما لا يُطيقُ من أذى الخلق وظلمهم وعدْوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبُهُ، أي: كافيه، ومن كان اللهُ كافِيَهُ وواقِيَهُ، فلا مطمعَ فيه لعدوه، ولا يضرُّه إلا أذىً لا بدَّ منه؛ كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يَضُرَّهُ بما يبلغُ منه مرادَه؛ فلا يكون أبدًا،...، وذكر كلاماً إلى أن قال: بل جعل نفسَه سبحانه كافِيَ عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكَلَ العبدُ على الله تعالى حقَّ توكُّلِهِ، وكادَتْه السموات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره"[(١)].

وقال الربيع بن خُثيم في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [سورة الطلاق:٢]: "من كل شيء ضاق على الناس"[(٢)].

الثمرة الرابعة: جلب المنافع ودفع المضار

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٦-٧٦٧).

(٢) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) (٢٣/ ٤٤٦)، و(٢٣/ ٤٤٧).

التوكل من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار: قال الله سبحانه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٤]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَمَّا تَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ كَفَاهُمْ مَا أَهَمَّهُمْ وَرد عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ أَرَادَ كَيْدَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى بَلَدِهِمْ ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ مِمَّا أَضْمَرَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فعقب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء، وهي تفيد السبب؛ فدل ذلك على أن ذلك التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله وفضل، وأن هذا الجزاء جزاء على ذلك العمل"[2].

الثمرة الخامسة: محبة الله عَزَّوَجَلَّ للمتوكلين

التوكل يورث محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: إن الله سبحانه قد وعد عباده المتوكلين عليه بالمحبة، ووعده عَزَّوَجَلَّ لا محالة واقع، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران:١٥٩]، والمحبة كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "هي المنزلةُ التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخَصَ العاملون، وإلى عَلَمِها شمر

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٢/ ١٧١).

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (١/ ٩٠).

السابقون، وعليها تفانى المحبون، نسيمها تروح العابدون. فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون"[1]. إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثمرة السادسة: قوة القلب وشجاعته

التوكل يورث قوة القلب وشجاعته وثباته، والصبر والتحمل: قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالقوَّة كلُّ القوَّة في التَّوكُّل على اللهَّ، كما قال بعض السَّلف: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ عَزَّوَجَلَّ"[2]، فالقوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه، وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما ينقص من التقوى والتوكل، وإلا فمع تحققه بهما، لا بد أن يجعل الله له مخرجا من كل ما ضاق على الناس، ويكون الله حسبه وكافيه"[3].

الثمرة السابعة: النصر والتمكين

التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ يورث العبد النصر والتمكين؛ لأن قوة المؤمن وثباته لا تكون إلا بالاعتماد على الله جَلَّوَعَلَا، لا على قدراته وحده.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٨).

(٢) رُوي مرفوعًا عن ابن عباس رضي الله عنهما الزهد، لأحمد بن حنبل (ص:٢٣٩)، والتوكل على الله، لابن أبي الدنيا (ص:٤٩)، برقم (٩)، وتنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص:٤٦٦)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٩/ ٣٧٤)، وفي سنده عبدالرحيم بن زيد العمي، وهو متفق على ضعفه، فهو ضعيف جدًا كما في ضعيف الجامع، برقم (٥٦٢٧)، وفي السلسلة الضعيفة، برقم (٤٦٠٢).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٣١-٣٣٢).

فالعبد المتوكل يسير في أمره مطمئنًا واثقًا بنصر الله عَزَّوَجَلَّ وتمكينه له، مطمئنًا أن كل مجد ونجاح من عنده جَلَّوَعَلَا، وأنه لا غالب على من نصره الله سبحانه. قال الله عَزَّوَجَلَّ قارناً بين النصر والتوكل: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [سورة آل عمران:١٦٠]، فالتوكل على الله جَلَّجَلَالُهُ طريق الثبات والتمكين والنجاح.

الثمرة الثامنة: تقوية العزيمة والثبات

التوكل يقوِّي العزيمة والثبات على الأمر: لذلك أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا عزم أن يتوكل على الله تعالى فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [سورة آل عمران:١٥٩]، وكمال العبد بالعزيمة والثبات.

فالعبد يُرزق قوة القلب وثباته عند الملمات، فلا تزعزعه الحوادث، ولا تُقلقه تقلبات الأحوال؛ لأنه يعلم أن له ربًا مدبرًا حكيمًا، لا يجري في ملكه إلا ما فيه الخير له، وإن خفي عليه وجه الحكمة، وقد قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه أي كافية ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه"[1]، فمن صدق توكله قوي قلبه، واطمأن، وثبت عند الشدائد، ولم يتزلزل أمام الفتن.

الثمرة التاسعة: الوقاية من تسلط الشيطان

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٩).

التوكل على الله يقي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من تسلُّط الشيطان: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة النحل:٩٨-٩٩].

الثمرة العاشرة: دفع السحر والحسد والعين

التوكل على الله من أعظم أسباب دفع السحر والحسد والعين: سبق الإشارة إلى ذلك في الكلام على الثمرة الثالثة عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [سورة الطلاق:٣]، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن كثيراً من المرضى يُشفون بلا تَدَاوٍ ولا سيما أهلُ الوبرِ والقرى، بدعوةٍ مستجابة أو رقية نافعة، أو قوةٍ للقلب وحسن التوكل"[(١)].

الثمرة الحادية عشرة: تحصيل الرزق

التوكل من أسباب تحصيل الرزق: فمن توكل على الله عَزَّوَجَلَّ فإن الله سبحانه يرزقه من حيث لا يحتسب، ويفتح له من أبواب الرزق ما لا يخطر له على باله؛ لأنه اعتمد على ربه الغني سبحانه، وفوّض أمره إليه، ومن توكل على الله عَزَّوَجَلَّ كفاه ولا بد قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الطلاق:٢-٣]، فجمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هنا بين التقوى والتوكل، وبين الرزق والكفاية.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٦٣)، بتصرف يسير.

الثمرة الثانية عشرة: طرد الكبر والعجب

التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ ينقي القلب من أوهام العظمة والغرور؛ لأن الإنسان حين يعلم أن كل أمره بيد الله جَلَّوَعَلَا، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا بإرادة الله سبحانه، يصبح متواضعًا خاضعًا لله تَبَارَكَوَتَعَالَى، بعيدًا عن الكبر الذي يورث الغفلة، والعجب الذي يقطع صلة العبد بخالقه جَلَّجَلَالُهُ وبالناس.

فالتوكل يجعل الإنسان يدرك أن القوة والنجاح والرزق جميعها بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يغتر بنفسه ولا بما يملك، ولا يستكبر على الناس أو يتعالى عليهم.

الثمرة الثالثة عشرة: الرضا بالقضاء

من أعظم ثمار التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ أن يملأ القلب الرضا بما قضاه الله عَزَّوَجَلَّ، ويعلم أن كل ما أصابه كان خيرًا له، وما فاته كان شرًا دفعه الله سبحانه عنه.

فالمتوكل لا يجزع عند المصائب، ولا يفرح فرحًا مبالغًا عند النعم، بل يقف قلبه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ راضيًا بما قسمه له، مؤمنًا بأن الحكمة الإلهية تتجاوز علمه المحدود.

فالرضا بالقضاء من أعظم علامات الإيمان، وهو مفتاح السكينة وراحة النفس قال الله سبحانه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [سورة البقرة:٢١٦]، فالراضي بالقضاء والقدر يرى الخير في كل ما يختاره الله عَزَّوَجَلَّ له.

الثمرة الرابعة عشرة: دخول الجنة بغير حساب

التوكل سبب لدخول الجنة من غير حساب ولا عذب: كما في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فوصفهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنهم: «**لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**»[(١)]، متفق عليه.

فالعبد المتوكل الصادق يملأ قلبه اليقين بالله جَلَّوَعَلَا، ويؤدي الأعمال الصالحة بثقة وسكينة، متوكلًا على ربه عَزَّوَجَلَّ في جميع أموره، عالمًا أن الله كافٍ له، وأن جزاءه عند الله أعظم من حساب البشر.

فالتوكل الحقيقي هو باب للنعيم الأبدي بلا عناء ولا جزع.

الثمرة الخامسة عشرة: الغنى عن الخلق

التوكل يورث صاحبه الغنى عن الخلق: وهذه خلة شريفة، ومن افتقر إلى الناس ذَلّ وذهب ماء وجهه، واستثقله الناس، ومن استغنى عنهم واكتفى بالله عزَّ.

قال الإمام ابن حبان البستي رَحِمَهُٱللَّهُ: "الواجب على العاقل: لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة.

وما توكَّل أحد على اللهَّ جَلَّوَعَلَا مِن صحة قلبه حتى كان اللهَّ جَلَّوَعَلَا بما تضمَّن من الكفالةِ أوثَقَ عنده بما حَوَتْهُ يده إلا لم يَكِلْهُ اللهَّ إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب"[(٢)].

فالسعيد من حقق التوكل، وفوّض أمره إلى الله، فأغناه وكفاه، ونصره وهداه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٧٠٥)، و(٦٤٧٢)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢١٨).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٥٣).

درجات التوكل

الدرجة الأولى: معرفة الرب وصفاته

فالتوكل لا يتم ولا يحل للإنسان إلا بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ معرفة صحيحة بذاته وأسمائه وصفاته، فإذ اكتملت له هذه المعرفة عرف أن له رباً قادراً قوياً عزيزاً، رازقاً، يعطي ويمنع ويخفض ويرفع يعزُّ من يشاء ويُذل من يشاء بيده الخير، فكلما كان العبد بربه أعرف وأعلم كان متأهلا للتوكل أكثر من غيره. فهذه الدرجة هي العلم بالمعبود جَلَّجَلَالُهُ.

الدرجة الثانية: إثبات الأسباب والأخذ بها

إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها، فإنها لا تُطرح بالكلية، وسبق الكلام على المسألة في حقيقة التوكل وضرورة الأخذ بالأسباب، وأقوال أهل العلم في الأخذ بالأسباب..

الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في التوحيد

رسوخ القلب في مقام التوحيد، فإنه لا يستقيم توكُل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه. فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ومن هاهنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب. وهذا حق. لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح. فالتوكل لا يتم إلا

برفض الأسباب عن القلب، وتعلق الجوارح بها. فيكون منقطعا منها متصلا بها. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم"[1].

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ

أن يعتمد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ ويطمئن إليه ويسكن إليه، ويثق بتدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكون كما قال بعضهم: كالطفل الذي لا يعرف إلا ثدي أمه، ولا يسكن إلا إليه ولا يطمئن إلا إليه.

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله جَلَّوَعَلَا

حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، فحسن الظن به يدعو إلى التوكل عليه، وعلى قدر حسن ظن العبد بربه وإرجائه له يكون توكله عليه، وإذا ساءت الظنون بالله عَزَّوَجَلَّ، ضعف التوكل، ولهذا ذم الله الظانين بالله ظن السوء، ومن الظنون السيئة به سبحانه: ظن الذين يظنون أن الله لا ينصر أولياءه، أو أن الله يُدِيلُ أعداءه على أوليائه إدالةً مستمرة، وكذا قول أهل النفاق في وقعة الأحزاب: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب:١٢]، وذلك حين وعدهم بكنوز كسرى وقيصر، ووعَدهم بفتوح عظيمة كفتح اليمن والشام وفارس، فلما رأى المنافقون الأحزاب قد أحاطوا بالمدينة قال ما أخبر الله عن قولهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب:١٢].

---

(١) من كلام الحافظ ابن القيم بتصرف واختصار ينظر: مدارج السالكين (٢/١١٩- ١٢٠).

ونحن في هذه الأيام في أمس الحاجة إلى حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ وإلى تكثيره في القلوب، وتعظيمه وشرح القلوب وتوسيعها ببعث الأمل وتعريفها بصفات الله عَزَّوَجَلَّ التي تدل على اقتدره وعلى حلمه وإمهاله للظالمين، والناس في حاجة إلى أن يذكَّرُوا بسنن الله عَزَّوَجَلَّ في التغيير ما يحتاجون إليه في مثل هذه الأيام، وإلا فإن الكثيرين قد يحصُلُ لهم من الانهزام الداخلي والتشكك بوعد الله عَزَّوَجَلَّ ما يُفضي بهم إلى أمور عظيمة من جهة الاعتقاد؛ ولهذا بعض أهل العلم فسر التوكل بحسن الظن بالله.

الدرجة السادسة: استسلام القلب

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والدرجة السادسة: أن يستسلِمَ القلبُ لربِّه، وأن تنجذِب دواعيه كلها إليه"[(١)].

الدرجة السابعة: التفويض

أن يفوِّض أمره إلى الله ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنه يعلم أن الله عليم، يَعلَمُ الأمور كلَّها، وهو حكيم يضع الأمور في مواضعها، ويُوقِعُها في مواقعها، فإذا حصل اليقين بذلك مع وثوقٍ بقوة الله عَزَّوَجَلَّ وقدرته، فإنه يستسلم ويفوض أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فالتفويضُ: "هو روح التوكل ولبُّه وحقيقته؛ وذلك أن تسلِّم أمورك كلها إلى فاطرك وبارئك سبحانه، وأن تُنزِل به حوائجك ختياراً لا اضطراراً"[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين (١٢٢/٢)، بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (١٢٢/٢)، بتصرف.

الدرجة الثامنة: الرضا

هي الرضا وهي ثمرة التوكل، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهي ثمرة التوكل. ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله"[(١)].

ثم نقل عن شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: "إن الرضا والتوكل يكتنفان المقدور، فالتوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه"[(٢)].

وقد قرن الله عَزَّوَجَلَّ بينهما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ [سورة التوبة:٥٩].

وجمع بينهما صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الاستخارة المشهور، الذي كان يعلِّمُهُ أصحابه كما يعلِّمهم السورة من القرآن: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم»، فهذا توكل وتفويض ثم ختمه بسؤال الرضا بقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وقدر لِيَ الخير حيث كان ثم رضني»[(٣)].

ومن دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأسألك الرضا بعد القضاء»[(٤)]، فهذا سؤال لتحقيق الرضا بعد وقوع المقدور.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٣٨٢)، و(٧٣٩٠).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢١٦٦٦)، ومعمر بن راشد في جامعه، برقم (١٩٦٤٧)، والنسائي في السنن الكبرى، برقم (١٢٢٩)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٠)، وابن حبان في صحيحه، برقم (١٩٧١)، وصححه إسناده الألباني في تخريج الكلم الطيب (ص: ١٠٩)، برقم (١٠٦)، وفي تحقيق الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (ص:٩٠).

قال الشيخ السبت وفقه الله وسدده: "فهذه درجات ثمان إذا اجتمعت للإنسان كمل له التوكل، وإذا نقص شيء منها أو اختل، اختل توكله.

والإنسان بحاجة إلى ملاحظة قلبه وعَرضِ توكله على هذه الدرجات من أجلِ إصلاحه وتكميله"[1].

قال أبو علي الدقاق: "التوكل ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض".

وقال: "التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية".

وسئل سهل عَنِ التوكل فَقَالَ: "قلب عاش مَعَ اللَّهَّ تَعَالَى بلا علاقة"[2].

وقال بَعْضِ الْحُكَمَاءِ: "التَّوَكُّلُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: أُولَاهَا: تَرْكُ الشِّكَايَةِ، وَالثَّانِيَةُ: الرِّضَا، وَالثَّالِثَةُ: الْمَحَبَّةُ، فَتَرْكُ الشِّكَايَةِ دَرَجَةُ الصَّبْرِ، وَالرِّضَا سُكُونُ الْقَلْبِ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَهِيَ أَرْفَعُ مِنَ الْأُولَى، وَالْمَحَبَّةُ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ لِمَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِ، فَالْأُولَى لِلزَّاهِدِينَ، وَالثَّانِيَةُ لِلصَّادِقِينَ، وَالثَّالِثَةُ لِلْمُرْسَلِينَ"[3].

و"على قد إيمان العبد يكون توكله"، كما قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

و"أعظم أنواع التوكل: التوكل في الهداية، وتجريج التوحيد، ومتابعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم"[5].

---

(١) أعمال القلوب (١/٤٧٦).

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية (١/ ٣٠٢).

(٣) التوكل على الله، لابن أبي الدنيا (ص: ٧١).

(٤) بدائع الفوائد ط عالم الفوائد (٢/ ٧٦٧).

(٥) الفوائد، لابن القيم (ص: ٨٦).

هذا ما تيسر القول فيه، ونسأل الله العظيم أن يجعل قلوبنا عامرة بذكر الله والتوكل عليه، والخوف منه، والخشية له جَلَّجَلَالُهُ، وأن يرزقنا حبه وحب من يحبه وحب كل عمل يقربنا إلى حبه، وأن يوفقنا لكل خير، بمنه وكرمه[1].

(١) أصل المادة درس ألقيته لبعض الشباب بتاريخ ٢٠/ ٢/ ١٤٤٥هجري.

خاتمة

بعد هذا العرض يتبيّن أن التوكل على الله ليس خُلُقًا ثانويًا، بل هو أصلٌ عظيم من أصول الإيمان، وركنٌ قلبي تقوم عليه حياة المسلم كلها. وقد ظهر من خلال ما سبق أن حقيقة التوكل تقوم على اجتماع أمرين لا ينفك أحدهما عن الآخر: اعتماد القلب على الله اعتمادًا صادقًا، مع الأخذ بالأسباب المشروعة دون تعلق بها.

كما يتضح أن الخلل في هذا الباب يقع غالبًا في طرفين:

١. إما الاعتماد على الأسباب ونسيان المسبّب، وهذا ضعف في التوحيد.

٢. أو ترك الأسباب بدعوى التوكل، وهذا خلل في الفهم ومخالفة للشرع والعقل.

وقد أبرز البحث أن للتوكل آثارًا عظيمة في حياة الفرد، من أهمها: طمأنينة القلب، وقوة النفس، وتحقيق الكفاية، ودفع المخاوف، وجلب الرزق، والرضا بالقضاء، بل وبلوغ أعلى المراتب عند الله عَزَّوَجَلَّ. كما أن التوكل يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتحقيق التوحيد، وحسن الظن بالله، واليقين بوعده.

وانطلاقًا من ذلك، يمكن إجمال أهم التوصيات فيما يلي:

١. العناية بإصلاح القلب وتعليقه بالله وحده، وتعزيز معاني التوحيد واليقين فيه.

٢. التوازن في باب الأسباب: بالأخذ بها امتثالًا، دون الاعتماد عليها قلبًا.

٣. تعميق حسن الظن بالله خاصة في أوقات الشدائد والابتلاءات.

٤. تربية النفس على التفويض والرضا بعد بذل الجهد واتخاذ الوسائل.

٥. إحياء هذا المعنى في واقع الأمة؛ لما له من أثر في القوة والثبات والنهوض.

وفي الختام، فإن التوكل ليس مقامًا يُنال بكثرة الكلام، بل هو حالٌ يُبنى بالعلم، ويقوى بالمجاهدة، ويظهر أثره في السلوك والعمل. فمن صدق مع الله في توكله، كفاه الله، وهداه، وشرح صدره، وجعل له من كل ضيق مخرجًا.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا صدق التوكل عليه سبحانه، وكمال الاعتماد عليه، وأن يجعل قلوبنا معلقة به وحده جَلَّوَعَلَا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وسبحان من يتفضَّل على من يشاء بما شاء، والله ذو الفضل العظيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

غفر الله له ولوالديه وأزواجه والمسلمين.

آخر تعديل عليه مساء الأربعاء ليلة 29 من شهر رمضان 1447هجري.

اللّه لطيف بعباده

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، القائل في كتابه الكريم: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [سورة الشورى:١٩]، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله الأطهار وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ اللطيف، قال العلامة عبدالرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اللطيف" الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى "الخبير" وبمعنى "الرؤوف"[(١)].

وسنتأمل في هذه الورقات بعض لطف الله عَزَّوَجَلَّ بعباده، ونبين ذلك بكلام أهل العلم، بعد نقل كلام المفسرين على قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الشورى:١٩]، قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ قال ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: حفيٌّ بهم. قال عكرمة: بارٌّ بهم. قال السّدّيّ: رفيقٌ. قال مقاتلٌ: لطيفٌ بالبرّ والفاجر حيث لم يهلكهم جوعًا بمعاصيهم، يدلّ عليه قوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾، وكلّ من رزقه الله

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٩٤٧).

من مؤمنٍ وكافرٍ وذي روحٍ فهو ممّن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفرٌ الصّادق: اللّطف في الرّزق من وجهين:

أحدهما: أنّه جعل رزقك من الطّيّبات.

والثّاني: أنّه لم يدفعه إليك بمرّةٍ واحدةٍ"[1].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يقول تعالى مخبرًا عن لطفه بخلقه في رزقه إيّاهم عن آخرهم، لا ينسى أحدًا منهم، سواءٌ في رزقه البرّ والفاجر، كقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [سورة هود:٦]، وَلَهَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ أَيْ: يُوَسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ أَيْ: لَا يعجزه شيء"[2].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده -وخصوصا المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل) - طيبة (٧/ ١٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٧/ ١٩٧)، ت السلامة.

فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ بحسب اقتضاء حكمته ولطفه، ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء"[1].

ومن لطفه عَزَّوَجَلَّ بأمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الشياطين ومردة الشياطين تُغل في شهر رمضان المبارك، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ: "وفي شهر رمضان يلطف

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص:٧٥٦).

الله بأمّة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيغلّ فيه الشياطين ومردة الجنّ حتّى لا يقدروا على ما كانوا يقدرون عليه في غيره من تسويل الذنوب"[1].

وللعلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا طويلًا رائعًا أنقله بطوله لجماله وأهميته، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن لطفه بهم أنه يقدر عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن، والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمةً بهم، ولطفًا، وسوقًا إلى كمالهم، وكمال نعيمهم: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢١٦].

ومن لطيف لطفه بعبده إذ أهله للمراتب العالية، والمنازل السامية التي لا تدرك بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية، والعزائم السامية أن يقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أهل لها ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ولتتمرن نفسه ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر، وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في ابتداء أمرهم رعاية الغنم؛ ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم.

(١) لطائف المعارف، للحافظ ابن رجب (ص:٣٢٣)، ت عوض الله.

وكذلك يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات فينجذب ويرغب ويصير له ملكة قوية بعد ذلك على طاعات أجل منها وأعلى، ولم تكن تحصل بتلك الإرادة السابقة حتى وصل إلى هذه الإرادة والرغبة التامة.

ومن لطفه بعبده أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح، والعلم، والإيمان وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم، وتأديبهم ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم كما امتن الله على مريم في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ﴾ [سورة آل عمران:٣٧] إلى آخر قصتها، ومن ذلك إذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء أو في بلد صلاح، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم، أو لتربية العلماء الربانيين، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة منها، بل من أكثرها وأعظمها نفعًا هذه الحالة.

ومن ذلك إذا نشأ العبد في بلد أهله على مذهب أهل السنة والجماعة فإن هذا لطف له، وكذلك إذا قدر الله أن يكون مشايخه الذين يستفيد منهم الأحياء منهم والأموات أهل سنة وتُقى، فإن هذا من اللطف الرباني، ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أثناء قرون هذه الأمة وتبيين الله به وبتلامذته من الخير الكثير والعلم الغزير، وجهاد أهل البدع والتعطيل، والكفر،

ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات فلا شك أن هذا من لطف الله لمن انتفع بها، وأنه يتوقف خير كثير على وجودها، فلله الحمد والمنة والفضل.

ومن لطف الله بعبده أن يجعل رزقه حلالًا في راحة وقناعة يحصل به المقصود ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل، بل يعينه على ذلك ويفرغه، ويريح خاطره، وأعضاءه، ولهذا من لطف الله تعالى لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته فيعلم الله تعالى أنها تضره، وتصده عما ينفعه فيحول بينه وبينها فيظل العبد كارهًا ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار، ولهذا كان الرضى بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل.

ومن لطف الله بعبده إذا قدر له طاعة جليلة لا تنال إلا بأعوان أن يقدر له أعوانًا عليها ومساعدين على حملها، قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [سورة طه:٢٩-٣٤].

وكذلك امتن على عيسى بقوله: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾ [سورة المائدة:١١١].

وامتن على سيد الخلق في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ [سورة الأنفال:٦٢]، وهذا لطف لعبده خارج عن قدرته، ومن هذا لطف الله بالهادين إذا قيض الله من يهتدي بهداهم، ويقبل إرشادهم فتتضاعف بذلك الخيرات والأجور التي لا يدركها العبد بمجرد فعله، بل هي مشروطة بأمر خارجي.

ومن لطف الله بعبده أن يُعطي عبده من الأولاد، والأموال، والأزواج ما به تقر عينه في الدنيا، ويحصل له السرور، ثم يبتليه ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب فنعمة الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه، وهذا أيضًا خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه، بل هو لطف من الله له قيض له أسبابًا أعاضه عليها الثواب الجزيل والأجر الجميل.

ومن لطف الله بعبده أن يبتليه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها فينيله درجات عالية لا يدركها بعمله، وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك كما فعل بأيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ويوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة وكشف الضر فيخف ألمه، وتنشط نفسه.

ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر فخفت مصائبهم، وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتنقص إيقانه، كما أن من لطفه بالمؤمن القوي تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ويعينه عليها ويحملها عنه، ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجره فسبحان اللطيف في ابتلائه وعافيته وعطائه ومنعه.

ومن لطف الله بعبده أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه، فييسر عليه التعلم من كتاب أو معلم يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل، وكذلك ييسره لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه فهذا من اللطف.

ومن لطف الله بعبده قدر الواردات الكثيرة والأشغال المتنوعة والتدبير والمتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قسمت على أمة من الناس لعجزت قواهم عليها أن يمن عليه بخُلق واسع، وصدر متسع، وقلب منشرح بحيث يعطي كل فرد من أفرادها نظرًا ثاقبًا، وتدبيرًا تامًا وهو غير مكترث ولا منزعج؛ لكثرتها وتفاوتها، بل قد أعانه الله تعالى عليها ولطف به فيها، ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها، وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر فانظر إلى حالة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله بصلاح الدارين، وحصول السعادتين، وبعثه مكملًا لنفسه ومكملًا لأمة عظيمة هي خير الأمم، ومع هذا مكنه الله ببعض عمره الشريف في نحو ثلث عمره أن يقوم بأمر الله كله على كثرته وتنوعه، وأن يقيم لأمته جميع دينهم، ويعلمهم

جميع أصوله وفروعه، ويخرج الله به أمة كبيرة من الظلمات إلى النور، ويحصل به من المصالح والمنافع والخير والسعادة للخاص والعام مالا تقوم به أمة من الخلق.

ومن لطف الله تعالى بعبده أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سببًا لرحمته، فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع والابتهال إلى ربه، وازدراء نفسه واحتقارها، وزوال العجب والكبر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة واسترسلت في ذلك أن ينقصها عليه، ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئًا إلا مقرونًا بالمكدرات، محشوًا بالغصص؛ لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له التقربات، ويحلي له الطاعات؛ ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده أن يأجره على أعمال لم يعملها، بل عزم عليها فيعزم على قربة من القرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها فيحصل له أجرها، فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه، وأدارها في ضميره، وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سوقًا لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

وألطف من ذلك أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها هي أنفع له منها فيدع العبد الطاعة التي ترضى ربه لطاعة أخرى هي أرضى لله منها فتحصل له المفعولة بالفعل، والمعزوم عليها بالنية، وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجره على الله مع أن قطع الموت بغير اختياره

فكيف بمن قطعت عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها! وربما أدار الله في ضمير عبده عدة طاعات، كل طاعة لو انفردت لفعلها العبد لكمال رغبته ولا يمكن فعل شيء منها إلا بتفويت الأخرى فيوفقه للموازنة بينها، وإيثار أفضلها فعلًا مع رجاء حصولها جميعها عزمًا ونية.

وألطف من هذا أن يقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها؛ ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات.

كما لطف بيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مراودة المرأة. وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين[1].

ومن لطف الله بعبده أن يقدر خيرًا وإحسانًا من عبده ويجريه على يد عبده الآخر، ويجعله طريقًا إلى وصوله إلى المستحق فيثيب الله الأول والآخر.

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه، أخرجه البخاري، برقم (٦٦٠)، و(١٤٢٣)، و(٦٨٠٦)، ومسلم، برقم (١٠٣١)، ولفظ الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

ومن لطف الله بعبده أن يجري بشيء من ماله شيئًا من النفع وخيرًا لغيره فيثيبه من حيث لا يحتسب، فمن غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئًا آجر الله صاحبه وهو لا يدري خصوصًا إذا كانت عنده نية حسنة وعقد مع ربه عقدًا في أنه مهما ترتب على ماله شيء من النفع فأسألك يا رب أن تأجرني، وتجعله قربة لي عندك، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بدرها وركوبها والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكناها ولو شيئًا قليلًا، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك ككتاب انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قرئ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطف الله بعبده أن يفتح له بابًا من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلة رغبته فيه وإنما هو غفلة منه وذهول عن ذلك الطريق فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه، والملفت إليه، ففرح بذلك وعرف أنها من ألطاف سيده وطرقه التي قيض وصولها إليه، فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره، وأدرك منها ما شاء الله"[1].

فنسأل الله العظيم اللطيف أن يلطف بنا ويرحمنا برحمته وأن يوفقنا لكل خير، ونسأل جَلَّوَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يلطف بعباده في أرض الرباط

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص: ٢٢٨-٢٣٣).

أرض العزة والكرامة، ويدفع عنهم ويحفظهم بحفظه ويرزقهم من حيث لا يحتسبون.

ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يلطف بنا وبجميع المسلمين ويوفقنا لطاعته ورضاه، ونسأله أن يقيض لنا الأسباب التي تحول بيننا وبين المعاصي والآثام، والحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى الله بتوفيق اللطيف سبحانه/

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

غفر الله له ولوالديه وأزواجه وإخوانه وجميع المسلمين

ليلة الثلاثاء ١٧ ربيع الأول ١٤٤٧ هجرية.

مهما عظُم ذنبك فأبشر

الحمد لله التواب الغفور الرحيم، والصلاة والسلام على السراج المنير نبينا محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أخي الحبيب:

اعلم رحمني الله وإياك أن الله عَزَّوَجَلَّ رحيم غفور يفرح بتوبة عبده وإنابته إليه، فلا يأس ولا قنوط، مهما عظم ذنبك وكثر زللك فأبشر إن الله عَزَّوَجَلَّ غفور رحيم قال في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤)﴾ [سورة الزمر:٥٣-٥٤].

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرا للعباد عن ربهم: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب.

﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلها أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم.

ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بقلوبكم، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئًا.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ مجيئًا لا يدفع، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ فكأنه قيل: ما هي الإنابة والإسلام؟ وما جزئياتها وأعمالها؟

فأجاب تعالى بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [سورة الزمر:٥٥] مما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، ومحبة الخير لهم، وترك ما يضاد ذلك.

ومن الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب المسلم، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الزمر:٥٥]، وكل هذا حثٌّ على المبادرة وانتهاز الفرصة"[1].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٧٢٧-٧٢٨).

بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[(١)].

أيها المذنب وكلنا ذاك: أمرنا الله جميعًا بالتوبة والإنابة فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النور:٣١].

ثم وعد بالقبول فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الشورى:٢٥].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتمام لطفه، بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوبهم ويندمون عليها، ويعزمون على أن لا يعاودوها، إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعد ما انعقدت سببا للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية.

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريما، كأنه ما عمل سوءا قط، ويحبه ويوفقه لما يقر به إليه.

ولما كانت التوبة من الأعمال العظيمة، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصها، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٧٤٧).

منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا -بحسب الاستجابة له- إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة الشورى:٢٦]، أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له ويلبون دعوته، لأن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، وهو الغفور الشكور.

وزادهم من فضله توفيقا ونشاطًا على العمل، وزادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب والفوز العظيم.

وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به وبرسله، فـ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الشورى:٢٦] في الدنيا والآخرة"[1].

فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

هذه عقيدتنا وظننا بربنا الرحيم الرحمن، وهذا لا يعني أن نسيء الأدب مع ربنا جَلَّوَعَلَا فنبارزه بالمعاصي والذنوب ونسوف التوبة فالآجال بيده خالقنا ولا أحد يعلم متى سينزل به، فكم نعرف من أحباب وأصحاب وجيران هجم عليهم الموت

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٧٥٨).

وهم في أتم الصحة والعافية، فعلينا الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ والتوبة الصادقة النصوح حتى يبدل الله سبحانه سيئاتنا حسنات.

فاللهم وفقنا للتوبة الصادقة النصوح، وحبب إلينا الطاعات وكره إلينا المعاصي والسيئات، ووفقنا للمسارعة والمحافظة على الفرائض والطاعات، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اجعل القرآن زادك إلى الآخرة

أخي الفاضل:

اجعلِ القرآنَ الكريم زادَك لآخرتك، ومصباحَ طريقك في ظلمات الحياة، واقرأه لا ليُقال: قرأتَ، ولكن ليكون لك نورًا حين تظلم الطرق، وأنيسًا إذا أوحشت القلوب، وسكينةً إذا اضطربت النفوس.

فالقرآن ليس كلماتٍ تُتلى فحسب، بل هو حياةٌ للقلوب، وشفاءٌ للصدور، ونورٌ يبدد ظلمات الحيرة والضلال. إنه الرفيق الذي لا يملّ صحبتك، والهادي الذي يرشدك إلى سواء السبيل، والشفيع الذي يقف معك يوم يقف الناس فرادى بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فاجعل بينك وبين القرآن عهدًا لا ينقطع؛ تلاوةً بلسانك، وتدبرًا بقلبك، وعملاً بجوارحك.

فإنه حياة القلوب بعد قسوتها، ونور الصدور بعد ظلمتها، وسبب رفعة الدرجات في الدنيا والآخرة.

وما أعظم منة الله عَزَّوَجَلَّ على عباده بهذا الكتاب العظيم، الذي جعله هدايةً للناس، ورحمةً للمؤمنين، فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [سورة الإسراء:٩].

ومن فضائل هذا الكتاب العظيم ما أخبر به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة، منها:

حديث أبي أمامه الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(١).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»(٢).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»(٣).

وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٤).

فهذه البشارات العظيمة تدل على أن القرآن ليس كتاب تلاوة فحسب، بل هو طريق رفعةٍ في الدرجات، وسبب نجاةٍ يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أخي المبارك: طوبى لمن كان القرآن العظيم ربيع قلبه، ونور صدره، وجلاء حزنه، وذهاب همّه، وقائدَه إلى رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، فاستنار به في دنياه، وكان له نورًا يوم يلقى ربَّه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٨٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (١٤٦٤)، والترمذي في السنن، برقم (٢٩١٤)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وأحمد في المسند، برقم (٦٧٩٩)، وحسنه الشيخ الوادعي في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، برقم (٥٤)، وبرقم (٣٨٣٩)، وقال الشيخ الألباني: "إسناده حسن صحيح" في صحيح أبي داود، برقم (١٣١٧).

فاحرص أخي الكريم أن يكون لك مع القرآن الكريم وِردٌ لا تتركه، وأن يكون لك معه تدبرٌ وعملٌ لا ينقطع، فإن الأيام تمضي سريعًا، والعمر مراحل قصيرة، والسعيد من ملأ صحيفته بكلام الله عَزَّوَجَلَّ.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا.

ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يجعله حجةً لنا لا علينا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا، وأن يرفعنا به في الدرجات، ويجعلنا من أهله وخاصته، وأن يجعله شفيعًا لنا يوم نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

مساء يوم الجمعة ٢٤ رمضان ١٤٤٧هجرية

اليمن – صنعاء

وقفات مع آية (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [سورة فاطر:٦]، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنزل القرآن العظيم للعمل به وتدبره، والوقوف عند حدوده، فيه الأمر والنهي والتوجيه والإرشاد والترغيب والترهيب، والتحذير، والقصص وذكر خبر من قبلنا؛ لأخذ العبرة قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١﴾ [سورة يوسف:١١١].

ومن ذلك أيها الأفاضل: بين لنا عدونا اللدود في كتابه الكريم، وأمرنا بأن نتخذه عدوًا لنا، وفي هذا تحذير لنا منه ومن اتباع خطواته والسير في سبله، فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [سورة فاطر:٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد

العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين.

فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير"[1].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ أي: أشياعه وأولياءه ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ أي: ليكونوا في السعير، ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة فاطر:٧]"[2].

فـ"﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ الذي هو عدوكم في الحقيقة ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائمًا لكم بالمرصاد.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣٤).

(٢) تفسير البغوي (٦/ ٤١٣).

﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ هذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد"[1].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: "﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين الشر لهم والفساد وأنه قال لربه مقسما: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ١١٨﴾ [سورة النساء:١١٨] أي: مقدرًا. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاه، وآثر طاعته على طاعة مولاه"[2].

من صور عداوته: الأمر بالسوء والقول على الله بغير علم

فالحذر الحذر من خطوات الشيطان، الحذر من اتباع سُبله وتلبيساته، قال تعالى ممتنًا على الناس بأنه أحل لهم أكل كل ما من شأنه أن يؤكل في الأرض حلالًا لهم وحذرهم من تتبع خطوات الشيطان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [سورة البقرة:١٦٨].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٨٥).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٠٤).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ تنفير عنه وتحذير منه...

وقال قتادة، والسدي في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان.

وقال عكرمة: هي نزغات الشيطان، وقال مجاهد: خطاه، أو قال: خطاياه"[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: اعملوا الطاعات، واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان"[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: طرائقه وأوامره، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله، أي: من الثمار والزروع افتراء على الله، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ﴾ أي: إن الشيطان أيها الناس لكم ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: بين ظاهر العداوة"[3].

ثم بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما يأمر به هذا العدو اللدود فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٩]، قال ابن كثير

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٨-٤٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥١).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضًا"[1].

فاعلم أخي الحبيب: أن الله سبحانه يؤكد لنا في هذه الآية محذرًا لنا من عدو خطير، ويأمرنا أن نتخذه عدوًا لنا فنبتعد عنه ونعاديه ولا نتبع خطواته.

كلنا نقر بعداوته! فهل اتخذناه عدواً؟

أين الحصون منه؟

أين البعد عن طرائقه؟

أين معرفة مداخل الشيطان؟ لنجتنبها.

الشيطان الرجيم عدو معك في كل مكان:

في الصلاة.

وعند الأكل والشرب.

وعند معاشرة الأهل.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٩).

وعند النوم؛ لذا شرع الله سبحانه الاستعاذة منه، هو العدو فاحذره فإن الله قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر: ٦].

إعلان الشيطان لعداوته وتوعده لبني آدم

لقد أكد القرآن الكريم على هذه العداوة في مواضع عدة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [سورة يوسف:٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [سورة الإسراء:٥٣].

وأخبر عَزَّوَجَلَّ عن شدة عداوته وتوعده لبني آدم (أنا، وأنت، وهو، وهي، وكل أحد) فقال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧﴾ [سورة الأعراف:١٦-١٧].

فالشيطان هنا يخبر بأنه سيبذل كل جهده في إغواء الناس وصدهم عن صراط الله المستقيم، وأنه سيأتيهم من كل الجوانب والجهات، بالوسوسة والصد عن ذكر الله والطاعات، وتزيين الشهوات الشبهات، وغيرها من واسائل إضلاله.

وقال جَلَّوَعَلَا أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [سورة الحجر:٣٩-٤٢].

ثم أخبر بأن جهنم هي موعده وموعد من اتبعه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الحجر:٤٣].

وأقسم بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ وعزته قهره أنه سيضل بني آدم أجمعين، إلا من عصمهم الله جَلَّوَعَلَا عن إضلاله فقال سبحانه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة ص:٨٢-٨٣].

ثم قال جَلَّوَعَلَا بعد ذلك: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة ص:٨٤-٨٥]، فالحق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا يقول إلا الحق.

فالحذر الحذر!

الحذر من سُبل الشيطان.

الحذر من خطوات الشيطان.

هو عدو لنا فعلينا الحذر منه، وعلينا أن نستعين بالله عَزَّوَجَلَّ عليه، ونستعيذ بالله جَلَّجَلَالُهُ من الشيطان الرجيم.

كيف نترجم هذه العداوة إلى واقع عملي؟

إن الأمر باتخاذ الشيطان عدوًا ليس مجرد شعور قلبي، بل هو منهج حياة متكامل يتطلب أفعالًا وسلوكيات تظهر هذه العداوة. ومن أهم سبل تحقيق ذلك:

١. الاستعاذة بالله جَلَّوَعَلَا من الشيطان الرجيم:

وهي الحصن الأول واللجوء إلى القوي القادر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٠]، قال العلامة ابن سعدي في تفسير الآية: "أي: أي وقت، وفي أي حال ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه.

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ أي: التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه ﴿سَمِيعٌ﴾ لما تقول. ﴿عَلِيمٞ ٢٠٠﴾ بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [سورة الناس:١] إلى آخر السورة.

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب - تذكر من أي باب أُتِيَ،

ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئًا حسيرًا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه.

وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبًا بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القياد لها، وهم لا يقصرون عن فعل الشر"[1].

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [سورة فصلت:٣٦]، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي: أي وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيله عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ أي: اسأله، مفتقرًا إليه، أن يعيذك ويعصمك منه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك واضطرارك إلى عصمته وحمايته"[2].

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٣).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٥٠).

وقد أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاستعاذة في أحوال كثيرة منها:

يستعيذ بالله من الشيطان في صلاته في الصحيح عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمعناه يقول: «**أعوذ بالله منك**»، ثم قال: «**ألعنك بلعنة الله**» ثلاثًا، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: «**إن عدو الله إبليس، جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك، ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»[(١)].

وعند دخوله الخلاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(٢)].

وعند الغضب كما في الصحيحين عن سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت جالسًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ**

(١) أخرجه مسلم، برقم (٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٤٢)، و(٦٣٢٢)، ومسلم، برقم (٣٧٥).

بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد»، فقالوا له: إن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون»[(١)]، وغيرها من الأحوال.

٢. مخالفة أوامره:

فإذا أمرك بالبخل، فتصدق، وإذا دعاك إلى الكسل عن الصلاة، فقم إليها نشيطًا مسرعًا وتذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [سورة البقرة:١٤٨].

وإذا وسوس لك بالنظر الحرام، فغض بصرك وتذكر قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾ [سورة النور:٣٠]، قال الحارث بن قيس: "إذا كنت في أمر الآخرة فتمكث، وإذا كنت في أمر الدنيا فتوخ، وإذا هممت بأمر خير فلا تؤخره، وإذا أتاك الشيطان وأنت تصلي، فقال: إنك مراء، فزده طولًا"[(٢)].

فإذا هممت بخير فبادر ولا تؤجله، وإذا دعتك نفسك والشيطان لمعصية الله عَزَّوَجَلَّ فخالف هواك والشيطان.

٣. ذكر الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٢٨٢)، ومسلم، برقم (٢٦١٠).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ١٣٢)، وصفة الصفوة (٢/ ٤٢).

فالذكر هو الحصن الحصين الذي يفر منه الشيطان فقد ثبت عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»[(١)].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فقد أخبر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن العبدَ لا يحرزُ نفسَه من الشيطان إلا بذكر الله، وهذا بعينه هو الذي دلَّت عليه سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ [سورة الناس:١]، فإنه وصف الشيطانَ فيها بأنه الخناس، والخَنَّاسُ الذي إذا ذكر العبدُ اللهَ انخنسَ وتجمَّعَ وانقبَضَ، وإذا غَفَل عن ذكر الله التقم القلب، وألقى إليه الوساوسَ التي هي مبادئ الشَّرِّ كُلِّه، فما أحرزَ العبدُ نفسَهُ من الشَّيطان بمثل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ"[(٢)].

٤. العلم بمداخله وكيده:

عرفنا عداوته في القرآن الكريم كما سبق، لذا يجب علينا أن نكون أشد حذرًا منه، فمن جهل عدوه سهل عليه اصطياده، ومداخل الشيطان إلى القلب كثيرة، منها: الغضب، والشهوة، والحسد، والكبر، وحب الدنيا، وبمعرفة هذه المداخل، يستطيع العبد أن يسدها ويحترز منها.

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٨٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٥٥٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٨١٥-٨١٦)، ط عطاءات العلم.

ولابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا جميلًا أنقله بطوله لأهميته قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"اعلم: أن القلب بأصل فطرته قابل للهدى، وبما وضع فيه من الشهوة والهوى، مائل عن ذلك، والتطارد فيه بين جندي الملائكة والشياطين دائم، إلى أن ينفتح القلب لأحدهما، فيتمكن، ويستوطن، ويكون اجتياز الثاني اختلاسًا كما قال تعالى ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الناس:٤] وهو الذي إذا ذكر الله خنس، وإذا وقعت الغفلة انبسط، ولا يطرد جند الشياطين من القلب إلا ذكر الله تعالى، فإنه لا قرار له مع الذكر.

واعلم: أن مثل القلب كمثل حصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن، ويملكه ويستولي عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرفها، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد، وهي كثيرة، إلا أنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

فمن أبوابه العظيمة: الحسد، والحرص، فمتى كان العبد حريصًا على شيء، أعماه حرصه وأصمه، وغطى نور بصيرته التي يعرف بها مداخل الشيطان.

وكذلك إذا كان حسوداً فيجد الشيطان حينئذ الفرصة، فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته، وإن كان منكراً أو فاحشًا.

ومن أبوابه العظيمة: الغضب، والشهوة، والحدة، فإن الغضب غول العقل، وإذا ضعف جند العقل هجم حينئذ الشيطان فلعب بالإنسان...

ومن أبوابه: حب التزيين في المنزل والثياب والأثاث، فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها، والتزين بالثياب، والأثاث، فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك.

ومن أبوابه: الشبع، فإنه يقوى الشهوة، ويشغل الطاعة[1].

ومنها: الطمع في الناس، فإن من طمع في شخص، بالغ بالثناء عليه بما ليس فيه، وداهنه، ولم يأمره بالمعروف، ولم ينهه عن المنكر.

ومن أبوابه: العجلة، وترك التثبت،...

---

(١) قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: "وأما فضولُ الطعام، فهو داعٍ إلى أنواع كثيرة من الشَرِّ، فإنه يحَرِّكُ الجوارحَ إلى المعاصي، ويثقلُها عن الطاعات، وحسبُك بهذين شرًّا! فكم مِنْ مَعصيةٍ جلبها الشبعُ وفضولُ الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقِيَ شرَّ بطْنِهِ فقد وُقِيَ شرًّا عظيمًا، والشيطانُ أعظمُ ما يتحكَّم من الإنسان إذا مَلأَ بطنَه من الطعام، ولهذا جاء في بعض الآثار: "ضَيِّقوا مجارِيَ الشيطان بالصَّوْم"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» [أخرجه الترمذي، برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه، برقم (٣٣٤٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٢٦٥)، وفي إرواء الغليل، برقم (١٩٨٣)]، ولو لم يكَنْ في التملِّي من الطَّعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، وإذا غَفَل القلبُ عن الذكر ساعةً واحدةً جثم عليه الشيطانُ ووعدَهُ ومنَّاه وشهَّاه، وهام به في كل وادٍ، فإن النفسَ إذا شبعتْ تَحَرَّكَتْ وجالت وطافت على أبواب الشَّهَوَاتِ، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت" [بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٨٢٠-٨٢١)].

ومن أبوابه: حب المال، ومتى تمكن من القلب أفسده، وحمله على طلب المال من غير وجهه، وأخرجه إلى البخل، وخوفه الفقر، فمنع الحقوق اللازمة.

ومن أبوابه: حمل العوام على التعصب في المذاهب، دون العمل بمقتضاها.

ومن أبوابه أيضًا: حمل العوام على التفكير في ذات الله تعالى، وصفاته، وفي أمور لا تبلغها عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين.

ومن أبوابه: سوء الظن بالمسلمين، فإن من حكم على مسلم بسوء ظنه، احتقره وأطلق فيه لسانه، ورأى نفسه خيراً منه، وإنما يترشح سوء الظن بخبث الظان، لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه.

وينبغي للإنسان أن يحترز عن مواقف التهم؛ لئلا يساء به الظن، فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان، وعلاج هذه الآفات سد مداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة، وسيأتي الكلام عن هذه الصفات، إن شاء الله تعالى مفصلاً.

إذا قُلعت من القلب أصول هذه الصفات، بقي للشيطان بالقلب خطرات واجتيازات من غير استقرار، فيمنعه من ذلك ذكر الله تعالى، وعمارة القلب بالتقوى"[1].

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص١٤٨-١٤٩).

وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا جميلًا يبين فيه أن فضول النظر وفضول الكلام من أعظم مداخل الشيطان، وأن الإمساك عنها حرز منيع ضد الشيطان، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إمساكُ فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإنَّ الشيطانَ إنما يتسلَّطُ على ابن آدَمَ وينالُ منه غَرَضهُ من هذه الأبواب الأربعة، فإن فضولَ النظر يدعوه إلى الاستحسانِ، ووقوع صورةِ المنظور إليه في القلب، والاشتغالِ به، والفكرةِ في الظَّفَرِ به، فمبدأُ الفتنة من فضول النظر...، فالحوادث العِظَام إنما كلُّها من فضول النظر، فكم نظرة أعقبت حَسَرات لا حَسْرة، كما قال الشاعر:

كلُّ الحوادثِ مَبْدَاها من النَّظَرِ *** ومُعْظمُ النَّار من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كم نظرةٍ فتكَتْ في قلب صاحِبها *** فَتْكَ السِّهام بلا قَوْس ولا وَتَرِ.

وقال الآخر:

وكنتَ متى أرسلتَ طَرْفَكَ رائدًا *** لقلبِكَ يومًا أتعبتْكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّه أنت قادرٌ *** عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صابِرُ

وقال المتنبي:

وأنا الذي اجْتَلَبَ المَنِيَّةَ طَرْفُهُ *** فمَنِ المُطَالبُ والقَتِيلُ القَاتِلُ

ولي من أبيات:

يا راميًا بسِهام اللَّحظ مجتهدًا *** أنت القتيلُ بما تَرْمي فلا تُصِبِ

وباعثَ الطَّرْف يرتادُ الشِّفَاءَ له *** توَقَّه إنَّه يَرْتَدُّ بالعَطَبِ

ترجو الشفاءَ بأحداقٍ بها مَرَضٌ *** فهل سمعت ببُرْءٍ جاءَ من عَطَبِ.

[إلى نهاية الأبيات]، والمقصود أن فضول النظر أصل البلاء.

وأما فضول الكلام؛ فإنها تفتحُ للعبدِ أبوابًا من الشر، كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسُدُّ عنه تلك الأبوابَ كلَّها، وكم منْ حرب جرَّتها كلمةٌ واحدة، وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لمعاذ: «وَهَلْ يكُبُّ النّاسَ عَلَي مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إلّا حَصَائِدُ ألْسِنتِهِمْ»[١]...

وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر، وهما أوسعُ مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يَمَلَّانِ ولا يسأمان، بخلاف شَهْوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يَبْقَ فيه إرادةٌ للطعام، وأما العين واللِّسان فلو تُرِكا لم يفتُرا من النظر والكلام، فجنايتُهما مُتَّسِعَةُ الأطراف، كثيرةُ الشُّعَبِ، عظيمةُ الآفات، وكان السلف يحذِّرون من فضول النظر، كما يحَذِّرون من فضول الكلام، وكانوا يقولون: "ما شيءٌ أحوجَ إلى طول السَّجن من اللِّسانِ"[٢].

٥. صحبة الصالحين ولزوم الجماعة:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٢٠٦٣)، وقال محققوه: "صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب"، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (١١٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣٢٨٤)، وفي صحيح الجامع، برقم (٥١٣٦).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٨١٦-٨٢٠).

فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد كما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»[1].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وشر الشيطان الرجيم، ونسأله جَلَّوَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا من عباده المخلصين، وأن يعصمنا من الشيطان الرجيم.

والحمد لله رب العالمين.

بقلم الفقير إلى عفو ربه الكريم/

أبو عبد الله

محمد بن عبد الله بن محمد حزام العبدلي

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٦٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٥٤٦).

إياك وفاكهة المجالس (الغيبة)

أخي العزيز: إياك وفاكهة المجالس وأعني بها الغيبة، الغيبة كما عرفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذكرك أخاك بما يكره»، كما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أتدرون ما الغيبة؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[(١)]، وثبت في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أحاديث كثيرة تدل على حرمتها، وأنها من الكبائر، فالغيبة كبيرة من كبائر الذنوب ومع ذا يتساهل الكثير فيها حتى يأتي يوم القيامة من المفاليس، واللسان آخر ما يحترز الإنسان منه غالبًا إلا من رحم الله وقليل منهم، فالبعض لسانه كالمنشار في أعراض الناس.

ومن نظر في سلوك السلف يلحظ ما كانوا عليه من ورع وخوف من الكلام في الناس، فقد جاء عن الفضيل قال: "احفظ لسانك، وأقبل على شأنك، واعرف زمانك، وأخف مكانك"[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، برقم (٢٥٨٩).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/ ٤٣٦).

واغتاب رجل عند معروف الكرخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: "اذكر القطن إذا وضع على عينيك"[(١)]، يعني: ذكره الموت؛ ليخاف ويدع الغيبة.

وقال الفلاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما سمعتُ وكيعًا ذاكرًا أحدًا بسوء قط"[(٢)].

ويقول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن وكيع: "قلتُ: مع إمامته، كلامه نزر جدًا في الرجال"[(٣)]، يعني في الجرح والتعديل، وهذا يتوقف عليه قبول الروايات، فكيف بإطلاق اللسان من غير حاجة.

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني أغتبت أحدًا"[(٤)].

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على كلام الإمام البخاري: "صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو ذلك، وقلّ أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى أنه قال: إذا قلتُ: فلان في

(١) تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ١٢١٢) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤١).
(٢) تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ١٢٣٤) وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٨).
(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥٢/ ٨١) وتاريخ الإسلام (٦/ ١٥٤) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٩).

حديثه نظر، فهو متهم واهٍ، وهذا معنى قوله: "لا يحاسبني الله أني أغتبتُ أحدًا، وهذا والله غاية الورع"[١].

وجاء عن الحسن بن صالح: فتشت الورع، فلم أجده في شيء أقل من اللسان"[٢].

وكان سعيد بن العاص يقول: "القلوب تتغير، فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحًا اليوم، ذامًا غدًا"[٣].

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بطرف لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد[٤].

فإذا كان أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول ذلك فكيف بنا؟ نسأل الله أن يتغمدنا الله برحمته وعفوه.

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام[٥].

وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان"[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/٣٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٨).

(٤) صفة الصفوة، لابن الجوزي (١/ ٩٦)، وإحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ١١١).

(٥) إحياء علوم الدين (٣/ ١١١).

(٦) إحياء علوم الدين (٣/ ١١١).

وقال طاوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لساني سبع إن أرسلته أكلني"[1].

ويُقال بأن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ذُكر شخص في مجلسه يغضب ويقول: سبح سبح، يعني أنه يأمره ينشغل بالتسبيح بدلًا من الكلام في أعراض الناس.

أخي العزيز: هذا بعض ما روي من أخبار السلف وما ذكرنا قليل من كثير ولم أقصد الحصر وإلا فهي محرمة بالكتاب والسنة قال الله سبحانه مشبِّهًا الغيبة بأكل اللحم للإنسان الميت: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحجرات:١٢].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فهذا نهي قرآني عن الغيبة مع إيراد مثل لذلك يزيده شدة وتغليظا، ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقادر قدره؛ فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعا، ولو كان كافرا أو عدوا مكافحا، فكيف إذا كان أخا في النسب أو في الدين؟!

فإن الكراهة تتضاعف بذلك، ويزداد الاستقذار، فكيف إذا كان ميتا؟!

فإن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذرًا بالموت، لا يشتهيه الطبع، ولا تقبله النفس. وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة، بعد النهي الصريح عن ذلك"[2].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١١١).

(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١١/ ٥٥٦٧-٥٥٦٨).

قال الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وهو أنْ يظنَّ السُّوء بأهل الخير وبمن لا يُعلم منه فسقٌ ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ لا تطلبوا عورات المسلمين ولا تبحثوا عن معايبهم، ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا تذكروا أحدكم بشيءٍ يكرهه وإن كان فيه ذلك الشَّيء ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ يعني: إن ذكراك أخاك على غيبةٍ بسوءٍ كأكل لحمه وهو ميِّت لا يحسُّ بذلك ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ إنْ كرهتم أكل لحمه ميتاً فاكرهوا ذكره بسوءٍ"[1].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ والغيبة، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذكرك أخاك بما يكره»، ولو كان فيه، ثم ذكر مثلًا منفرًا عن الغيبة، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس غاية الكراهة باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا، فاقد الروح، فكذلك فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمه حيًا.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر"[2].

---

(١) الوجيز، للواحدي (ص: ١٠١٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٢).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فيجب على المسلم أن يتباعد كل التباعد من الوقوع في عرض أخيه"[1].

وقال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، وذلك قوله: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرعد:٣٩]"[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي ما يتكلم بشيء إلا كتب عليه، مأخوذ من لفظ الطعام وهو إخراجه من الفم"[3].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ خير أو شر، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢]"[4].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤١٣).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٥).

ولا يقول مسلم بإباحتها، وإنما استثنى العلماء منها بعض الأحوال للمصلحة وإلا فهي محرمة وتباح بقدر الضرورة، لكن أن يتوسع الناس فيها بحيث تكون عنده كالفاكهة فهذا خلاف ما كان عليه السلف.

ونكتفي بذكر ما سبق ففيه كفاية لمن يريد أن يبتعد عن هذه الكبيرة، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وإذا علمت أخي الكريم أن ما تقوله سيأتي في صحيفتك فاحرص كل الحرص على ألّا تضع فيها إلا الشيء الطيب الذي تُسر به في الآخرة.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلاء أن يوفقنا لحفظ ألسنتنا عن الغيبة والنميمة والبهتان، ويستعملنا في طاعته، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي.

١٥/ رمضان/ ١٤٤٥هجرية.

لا تنشغل بحطام زائل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أجمعين، أما بعد:

فيا أيها المبارك رحمني الله وإياك: لا تنشغل بهذه الدنيا وزخرفها وجد وسارع في كل عمل يقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فالله سبحانه أمرنا بالمسارعة والمسابقة فقال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [سورة البقرة:١٤٨]، فجد وسارع واغتنم الوقت في رضى الرحمن جَلَّوَعَلَا، وإياك والكسل والتسويف، فمن كان مسوفًا فسيندم وقت لا ينفع الندم.

والإنسان ولا بد إذا بلغت روحه الحلقوم يدرك حقارة الدنيا وأنه انشغل بشيء لا بقاء له، وأنه فرط في هذه الحياة، ومثله كمثل شخص خرج يومًا في الصباح للنزهة فمر بواد فيه من أنواع الزهور الجميلة فأخذ في جمعها وتتبعها، ولما اجتمع له الشيء الكثير في نهاية اليوم وإذا بالذي جمعه قد ذبل عند ذلك أدرك أنه قد أجهد نفسه وتعب في جمع شيء لا بقاء له.

أخي الحبيب: فأنت في زمن الزرع وتجميع الحسنات فانشغل بما ينفعك في آخرتك، النجاح والفوز الحقيقي ليس بجمع الحطام الفاني وإنما بعمارة دار لا تفنى ولا تزول، دار أبدية سرمدية.

الفوز الحقيقي حين تزحزح عن النار ويُدخلك الله عَزَّوَجَلَّ الجنة دار المتقين، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨٥].

فهذه الآية الكريم تضمنت عدة حقائق، هي:

- أن كل نفس ستموت، فلا خلود لأحد.
- أن كل إنسان سيجد جزاء ما عمل في هذه الحياة.
- أن الحياة الدنيا متاع الغرور، وليست بدار بقاء.
- وأن الفوز الحقيقي حين يُكرمك الله جَلَّوَعَلَا بدخول الجنة ويُنجيك من النار.

فاللهم إنا نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت أن تجعلنا من أهل الجنة، وأن تكرمنا برحمتك ومغفرتك، اللهم تجاوز عن تقصيرنا واغفر لنا وارحمنا يا أكرم الأكرمين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

غفر الله له ولوالديه وأزواجه والمسلمين.

اليمن – صنعاء

يوم الأحد ٢٧ ذي القعدة ١٤٤٦هجرية

الموافق ٢٥ / ٥ / ٢٠٢٥ميلادي.

حقيقة الدنيا في آية من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما ذكر الدنيا في كتابه إلا ذمها، وقد بين حقيقتها في كثير من الآيات ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الحديد: ٢٠].

يبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر هذه الحياة الدنيا محقرًا لها بأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر في الأموال والأولاد وهذا حاصل أمرها عند أهلها والمغترين بها، وبين في آخر الآية بأنها متاع الغرور، والمتاع هو كل ما هو زائل، فهي متاع لكل من اغتر بها.

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهدًا لأولي البصائر، وأنها لعب ولهو تلهو بها النفوس، وتلعب بها الأبدان، واللعب واللهو لا حقيقة لهما وأنهما مشغلة للنفس مضيعة للوقت، يقطع بها الجاهلون فيذهب ضائعًا في غير شيء، ثم أخبر أنها زينة زُينت للعيون وللنفوس فأخذت بالعيون والنفوس استحسانًا ومحبة، ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها

ومصيرها لأبغضتها، ولآثرت عليها الآخرة، ولما آثرتها على الآجل الدائم الذي هو خير وأبقى"[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: "ولما كان هذا المثل دالًا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان"[2].

وقال السمرقندي في تفسير الآية: "ثم ضرب للدنيا مثلًا آخر فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني: كمثل مطر نزل من السماء فينبت به الزرع، والنبات، ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ يعني: فرح الزارع بنباته، ويقال: أَعْجَبَ الْكُفَّارَ يعني: الكفار بالله، لأنهم أشد إعْجابًا بزينة الدنيا من المؤمنين.

ويقال: الْكُفَّارَ كناية عن الزراع، لأن الكَفْر في اللغة هو التغطية، ولهذا سمي الكافر كافرًا لأنه يغطي الحق بالباطل.

فسمي الزراع كفارًا لأنهم يغطون الحب تحت الأرض، وليس ذلك الكفر الذي هو ضد الإيمان، والطريقة الأولى أحسن إن أراد به الكفار، لأن ميلهم إلى الدنيا أشد

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٦٨-١٦٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٤).

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يعني: ييبس فيتغير، ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ يعني: يابسًا.

ويقال: حُطامًا يعني: هالكًا، فشبّه الدنيا بذلك، لأنه لا يبقى ما فيها، كما لا يبقى هذا النبت فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ لمن افتخر بالدنيا، واختارها، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لمن ترك الدنيا، واختار الآخرة على الدنيا. ويقال: عذاب شديد لأعدائه، ومغفرة من الله لأوليائه.

ثم قال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: كمتاع الغرور، يعني: كالمتاع الذي يتخذ من الزجاج، والخزف، يسرع إلى الفناء ولا يبقى"[1].

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٤٠٨).

وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه، وغير ذلك.

﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلًا بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلفها فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبًا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور.

ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، والإيمان بالله ورسله يدخل فيه أصول الدين

وفروعها، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم من أعظم منته على عباده وفضله.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٥] الذي لا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده"[(١)].

ونختم الكلام بكلام قيم للحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: "لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها، ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما هنا، فهي كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعلى:١٧]، فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضي

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص:٨٤١-٨٤٢).

العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل.

فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبيّن الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وأطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجنًا لا جنة فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مالي وللدنيا، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها**»[1].

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٧٧)، ولفظه: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه، برقم (٤١٠٩)، وأحمد في المسند، برقم (٤٢٠٨)، بلفظ: «**ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب، قال في ظل شجرة في يوم صائف، ثم راح وتركها**»، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٦٨)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (٤٣٨).

وقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما ترجع»[1].

وقال خالقها سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يونس:٢٤]، والله يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فأخبر عن خسة الدنيا، وزهد فيها، وأخبر عن دار السلام ودعا إليها"[2].

فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تعلق قلوبنا بها يا أكرم الأكرمين، اللهم ووفقنا فيها للتزود للآخرة الباقية، واجعلنا ووالدينا وجميع المسلمين من أهل الجنة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

ليلة الثلاثاء: ٢٨ ذو الحجة ١٤٤٦هجرية

الموافق: ٢٤ يونيو ٢٠٢٥ميلادي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥٨)

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص: ٩٤-٩٥).

الخوف من سرعة مرور الأيام والليالي

(وبيان حقيقة الدنيا)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن سرعة الأيام والليالي وتصرمها شيء مخيف جدًا!!

ما أن يضع الواحد رأسه على الوسادة لينام إلا ويشرق نور الفجر، وما أن يستيقظ إلا ويأتي موعد النوم.

وما أن يأتي بداية الأسبوع ولا تشعر إلا وأنت في آخره، وهكذا الشهور والأعوام، تسير بشكل سريع مخيف.

والسعيد حقًا من ملأ صحيفته بالصالحات، وشغل وقته بالقربات، والمحافظة على الفرائض والنوافل [الصلوات الخمس في أوقاتها مع المسلمين - السنن الرواتب - والحرص على صلاة الضحى ولتكن أربع ركعات - الترديد مع المؤذن والذكر بعد الأذان - أذكار الصباح والمساء - قراءة ورد من القرآن وأقله كل يوم جزء - حفظ شيء منه كل يوم ولو خمس آيات - صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الاثنين والخميس - الإكثار من الباقيات الصالحات والاستغفار - (سبح هلل كبر حوقل استغفر)- سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم مائة مرة

صباحًا ومساء – الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صباحًا ومساءً أقل شيء عشر مرات صباحًا ومساءً – الإحسان للوالدين، والجيران، والمسلمين].

أي فعل خير افعله ولا تتردد، وأي فعل يقربك من الشر أو المعصية فر منه فرارك من المعصية.

الأحداث تتسارع من حولنا أيها الأحبة، والموت يتخطف الناس من حولنا، يتخطنا إلى غيرنا ويُخشى أن يتخطى غيرنا إلينا؛ لذا علينا المحافظة على ما سبق الإشارة إليه واغتنام الأيام الفاضلة بالمسارعة بالأعمال الصالحة.

وعلينا ألا نقارن معيشتنا بعيشة الأغنياء والمترفين، وأن ننظر لمن هو أدنى منا.

وأن نقارن عبادتنا بعبادة السلف الصالح، وما كانوا عليه من العبادة والمسارعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والتقوى والخوف من الله جَلَّوَعَلَا، فالدنيا زائلة فانية، والآخرة هي الباقية

إنما الدنيا فنـــاء ليس للدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيـت نسجته العنكبوت
ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت
ولعمري عن قليـل كل من فيها يموت

ما ذكر الله سبحانه الدنيا في القرآن إلا وذمها، فهي متاع الغرور والآخرة هي دار البقاء والدوام، إما سعادة أبدية أو شقاء وعذاب أبدي.

وأعظم ما يبين حقيقة الدنيا وزخرفها بعض ما ورد في القرآن قول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يونس:٢٤].

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة محمد:٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد:٢٠].

ومما يبين حقيقتها في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام حديث جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مر بالسوق، داخلًا من بعض

العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت [يعني صغير الأذنين]، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟»

فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟

قال: «أتحبون أنه لكم؟»

قالوا: والله لو كان حيًا، كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟

فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم»[(١)].

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»[(٢)].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل"[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الدنيا في الحقيقة لا تُذَمُّ، وإنما يُتوجه الذمُّ إلى فعل العبد فيها، ولكن لَمَّا غلبتْ عليها الشهوات والحظوظ، والغفلة والإعراض عن الله والدار الآخرة، فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها، وهو الغالب على اسمها،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٩٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٢٩٢).

(٣) ذكره البخاري معلقًا في صحيحه (٨/ ٨٩).

صار لها اسم الذم عند الإطلاق، وإلا فهي مَبْنَى الآخرةِ ومزرعتُها، وفيها اكتسبتْ النفوسُ الإيمان، ومعرفةَ الله ومحبتَه وذكرَه ابتغاء مرضاته، وخيرُ عيش ناله أهل الجنة في الجنة، إنما كان بما زرعوه فيها، وكفى بها مدحًا وفضلًا"[1].

ويقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أنَّ الذمَّ الوارد في الكتاب والسنَّة للدُّنيا ليس هو راجعًا إلى زمانها الذي هو اللَّيل والنَّهار، المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإنَّ الله جعلهما خِلفَةً لمن أراد أن يذَّكَّرَ أو أراد شكورًا.

ويُروى عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّه قال: إنَّ هذا الليل والنهار خزانتان، فانظُروا ما تضعُون فيهما.

وكان يقول: اعملوا اللَّيل لما خلق له، والنَّهار لما خلق له.

وقال مجاهد: ما مِنْ يوم إلَّا يقول: ابنَ آدم قد دخلتُ عليك اليوم، ولن أرجعَ إليك بعدَ اليوم، فانظُر ماذا تعمل فيَّ، فإذا انقضى، طوي، ثم يُخْتَمُ عليه، فلا يُفَكُّ حتَّى يكون الله هو الذي يفضّه يومَ القيامة، ولا ليلة إلا تقول: كذلك.

وقد أنشد بعضُ السلف:

إنَّما الدنيا إلى الجنــةِ والنَّار طريق

واللَّيالي متجر الإنــسان والأيَّام سُوق.

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص:١٧٢).

وليس الذمُّ راجعًا إلى مكان الدُّنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مِهادًا وسكنًا، ولا إلى ما أودعه اللهُ فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبته فيها من الشَّجر والزرع، ولا إلى ما بثّ فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإنَّ ذلك كُلَّه مِنْ نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانيَّة صانعه وقُدرته وعَظَمَتِهِ، وإنَّما الذَّمُّ راجعٌ إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدُّنيا؛ لأنَّ غالبها واقعٌ على غير الوجه الذي تُحمَدُ عاقبتُه، بل يقعُ على ما تضرُّ عاقبتُه، أو لا تنفع، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [سورة الحديد:٢٠]"[(١)].

وقال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قد ترادفت الأخبار، وتواترت الآثار، بذم الدنيا وزينتها ومدح التقلل منها والإعراض عنها، والزهد فيها وفي لذاتها"[(٢)].

وقَالَ الْحَافِظ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: "وَاعْلَمْ أَنَّ خَلْقًا كَثِيرًا سَمِعُوا ذَمَّ الدُّنْيَا وَلَمْ يَفْهَمُوا الْمَذْمُومَ، وَظَنُّوا أَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي خُلِقَتْ لِلْمَنَافِعِ مِنْ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ فَأَعْرَضُوا عَمَّا يُصْلِحهُمْ مِنْهَا فَتَجَفَّفُوا فَهَلَكُوا.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٦-١٨٧).

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٤٥).

وَلَقَدْ وَضَعَ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي الطِّبَاعِ تَوَقَانَ النَّفْسِ إِلَى مَا يُصْلِحُهَا، فَكُلَّمَا تَاقَتْ مَنَعُوهَا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ، وَجَهْلًا بِحُقُوقِ النَّفْسِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْمُتَزَهِّدِينَ"[1].

وأخيرًا: أخي العزيز احرص على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وخاصة المحافظة على الفرائض، وما اقترحته في بداية المقال احرص عليه قدر الإمام، وكل ميسر لما خُلق له.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يستعملنا في طاعته، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يسددنا ويعيننا إنه على كل شيء قدير.

فاللهم إنا نعوذ بك من الغفلة والاغترار بالدنيا وزخرفها.

اللهم إنا نسألك حُسن الخاتمة، اللهم اختم لنا بخير وعلى خير، وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني (٢/ ٥٤٧).

الباب الثالث: اغتنام الأوقات والمسارعة في الطاعات

الأيام تمضي سريعًا، والليالي تتتابع، والعمر مراحل قصيرة لا يشعر الإنسان بانقضائها إلا وقد مضى كثير منها.

ومن أعظم الخسارة أن يضيع العبد عمره في الغفلة والانشغال بما لا ينفع، بينما السعيد من عرف قيمة وقته، فسارع إلى الطاعات، واغتنم مواسم الخير، وجعل أيامه طريقًا يقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي هذا الباب مقالات تذكر بسرعة الزمن، وتحض على اغتنام العمر، والاجتهاد في الطاعات، ولا سيما في المواسم الفاضلة كشهر رمضان والعشر الأواخر منه.

كيف تستعيد البركة في وقتك؟ وصية عملية

(أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه مهما كثرت مشاغلك)

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [سورة ص:٢٩]، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيشكو الكثير فقدان البركة في وقته، فقدان البركة في رزقه، فقدان البركة في كل شيء، ولو سألته سؤال لظهر السبب!

كيف حالك مع القرآن؟

كيف حالك مع تلاوته؟

كيف حالك مع تدبره؟

أين أنت من العمل به؟

من ضاق وقته، وتشتتت أعماله، وشعر بذهاب البركة من عمره، فليعلم أن القرآن الكريم أعظم ما يُبارَك به الوقت، فهو كلام الله جَلَّجَلَالُهُ، الذي قال فيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [سورة ص:٢٩].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمبارك: المنبثة فيه البركة وهي الخير الكثير، وكل آيات القرآن مبارك فيها لأنها:

إما مرشدة إلى خير، وإما صارفة عن شر وفساد، وذلك سبب الخير في العاجل والآجل ولا بركة أعظم من ذلك.

والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرا انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر"[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله.

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥١-٢٥٢).

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب"[1].

وقد جرّب الصالحون أن من وُفِّق لكثرة تلاوة القرآن الكريم ودوام ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فُتحت له أبواب البركة في يومه وعمله وعمره وكل شؤونه.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٥]: "وقوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ معناه: أن هذا الكتاب مبارك، أي: كثير البركات، والخيرات، فمن تَعَلَّمَهُ وعمل به غمرته الخيرات في الدنيا والآخرة؛ لأن مَا سَمَّاهُ الله مباركاً فهو كثير البركات والخيرات قطعاً، وكان بعض علماء التفسير يقول: اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا؛ تصديقًا لقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ ونرجو أن يكون لنا مثل ذلك في الدنيا، وهذا الكتاب المبارك لا ييسر الله للعمل به إلا الناس الطيبين المباركين، فإنه

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٧١٢).

كثير البركات والخيرات؛ لأنه كلام رب العالمين، إذا قرأه الإنسان وتدبَّر معانيه ففي كل حرف عشر حسنات في القراءة، وإذا تدَبَّر معانيه عرف منها العقائد التي هي الحق، وعرف أصول الحلال والحرام، ومكارم الأخلاق، وأهل الجنة وأهل النار، وما يصير إليه الإنسان بعد الموت، وما يسبب له النعيم الأبدي، وما يسبب له العذاب الأبدي، فكله خيرات وبركات؛ لأنه نور ينير الطريق التي تميز بين الحسن من القبيح، والنافع من الضار، والباطل من الحق، فهو كله خيرات وبركات، من عمل به غمرته الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، وأصلح له الله الدارين"[1].

وينقل عن أحد السلف ولم أقف على قائله أنه قال: "كلما زاد حزبي من القرآن، زادت البركة في وقتي، ولا زلت أزيد حتى بلغ حزبي عشرة أجزاء".

وقال الضياء المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأوصاني -يعني: إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وقت سفري -يعني لطلب العلم- فقال: **أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه**؛ فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ".

قال الضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فرأيتُ ذلك وجربته كثيرًا، فكنتُ إذا قرأت كثيرًا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير.

وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي"[2].

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/ ٥٣١-٥٣٢).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٣/٢٠٥).

وهذا يوافق ما قرره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: "فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة آل عمران:٧٧].

فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحديد:١٦-١٧]، ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا ذلك، إنه جواد كريم"[1].

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢]: "يقول تعالى آمرًا عباده بتدبر القرآن، وناهيًا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد:٢٤]، ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لو كان مفتعلًا مختلقًا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم: ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ أي: اضطرابًا وتضادًا كثيرًا. أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله. كما قال تعالى مخبرًا عن الراسخين في العلم حيث قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران:٧] أي: محكمه ومتشابهه حق؛ فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا؛ ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين"[(١)].

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: "يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود،

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٦٤).

وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملًا فيه ازداد علمًا وعملًا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد:٢٤].

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضًا. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء: ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلًا"[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: "﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد:٢٤]: "أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص:١٨٩-١٩٠).

التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدًا؟ هذا هو الواقع"[1].

أخي المبارك وفقني الله وإياك: إذا أردت أن يعود وقتك مثمرًا، وأيامك عامرة، فاجعل للقرآن الكريم نصيبًا وافرًا من تلاوتك، وسترى كيف يوسع الله عَزَّوَجَلَّ لك في وقتك، ويبارك في جهدك، وييسر لك أمورك، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق:٢-٣].

فالبركة الحقيقية في العمر والعمل والوقت إنما هي بالقرآن الكريم وتدبره.

فتدبر كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير، وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته.

فاللهم ارزقنا إيمانًا يملأ قلوبنا، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٨٨-٧٨٩).

اللهم وارزقنا الإكثار من قراءة كتابك الكريم، وارزقنا تدبره والعمل به، والوقوف عند حدوده، ربنا اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، واجعله لنا شفيعًا يوم القيامة.

اللهم حبب إلينا وإلى أبنائنا والمسلمين كلامك ورزقنا جميعًا المحافظة على تلاوته والعمل به، يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

الثلاثاء الثامن من ربيع الآخر ١٤٤٧هجرية - ٣٠/ ٩/ ٢٠٢٥م

اليمن – صنعاء.

المسارعة في الطاعات واجتهاد السلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من على عباده بمواسم الخيرات؛ ليغتنموها بالتزود بالطاعات، والمسارعة بالخيرات أمرنا في كتابه الكريم بالمسارعة للطاعات فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]، وقال آمرًا بالمسابقة إلى الخيرات: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:١٤٨].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، "أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقا لغيره مستوليا على الأمر، إلا بأمرين:

المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به. ويستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في

الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الأمم السابقة واللاحقة، كلهم سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل والعمل السيء"[1].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد:٢١]، في هذه الآية ندب للعباد إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات من رب الأرض والسماوات وكما أن جهنم أعدت للكافرين فإن الجنة التي عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٢٣٤).

﴿السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ والإيمان بالله ورسله يدخل فيه أصول الدين وفروعها، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم من أعظم منته على عباده وفضله.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الذي لا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده"[1].

ويقول الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "عبر عن العناية والاهتمام بفعل السابقة لإلهاب النفوس بصرف العناية بأقصى ما يمكن من الفضائل كفعل من يسابق غيره إلى غاية فهو يحرص على أن يكون المجلي، ولأن المسابقة كناية عن المنافسة، أي واتركوا المقتصرين على متاع الحياة الدنيا في الأخريات والخوالف.

وتنكير مغفرة لقصد تعظيمها ولتكون الجملة مستقلة بنفسها، وإلا فإن المغفرة سبق ذكرها في قوله: ومغفرة من الله، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: سابقوا إلى المغفرة، أي أكثروا من أسبابها ووسائلها: فالمسابقة إلى المغفرة هي المسابقة في تحصيل أسبابها.

والعرض: مستعمل في السعة وليس مقابل الطور لظهور أنه لا طائل في معنى ما يقابل الطول، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [سورة

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٨٤١-٨٤٢).

فصلت:٥١]...، وتشبيه عرض الجنة بعرض السماء والأرض، أي مجموع عرضيهما لقصد تقريب المشبه بأقصى ما يتصوره الناس في الاتساع، وليس المراد تحديد ذلك العرض ولا أن الجنة في السماء حتى يقال: فماذا بقي لمكان جهنم.

وهذا الأمر شامل لجميع المسابقات إلى أفعال البر الموجبة للمغفرة ونعيم الجنة"[١].

قال الإمام الحافظ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما بلغني عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث قط، إلا عملت به ولو مرة"[٢].

وكان الأسود بن يزيد النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال[٣].

وقال علقمة بن مرثد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كان الأسود يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى.

فقيل له: ما هذا الجزع؟

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤٠٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١).

فقال: ما لي لا أجزع، والله لو أتيت بالمغفرة من الله، لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحيًا منه"[١].

قَالَ مُوسَى الطَّلْحِيُّ: اجْتَهَدَ الْأَشْعَرِيُّ قَبْلَ مَوْتِهِ اجْتِهَادًا شَدِيدًا، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَمْسَكْتَ أَوْ رَفَقْتَ بِنَفْسِكَ بَعْضَ الرِّفْقِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْخَيْلَ إِذَا أُرْسِلَتْ فَقَارَبَتْ رَأْسَ مُجْرَاهَا، أَخْرَجَتْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهَا، وَالَّذِي بَقِيَ مِنْ أَجَلِي أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ"[٢].

وقيل للربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم تتعب نفسك؟

قال: راحتها أريد"[٣].

و"قيل للرجل يتحمل تعبًا عظيمًا في عبادة: ألا تريح نفسك؟ فقال: "راحتها أريد"[٤].

بمعنى أنه يتعب في الدنيا قليلًا وينتهي التعب ليرتاح في الآخرة بما يناله من الأجر العظيم من الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (ص:١٠٨)، برقم (١٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٦٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٣).

(٣) عيون الأخبار، لابن قتيبة (٢/ ٤٠١)، والمجالسة وجواهر العلم، للدينوري (٤/ ٤٨).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٢٠٠).

فَبادِرْ إِذَا ما دَامَ في العُمرِ فُسْحَةٌ *** وَعَدْلُكَ مقبُولٌ وصَرفُكَ قَيِّمُ

وَجُدَّ وَسَارِعْ واغْتَنِم زَمنَ الصِّبَا *** ففي زَمْنِ الإمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ

وَسِرْ مُسْرِعًا فالموتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا *** وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمُ.

فيا غافلًا هذا زمن الزرع، فجد وسارع، ويا هاجرًا لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ هذا شهر القرآن، شهر التلاوة والقيام فجد وسارع وأقبل على ربك وكتابه وانطرح بين يديه، وقل: يا الله عصيتك فأمهلتني، وأذنبت فسترتني فاغفر لي ووفقني للتوبة النصوح.

أكثر من الاستغفار وطلب المغفرة من الله الغفور الرحيم، املأ صحيفتك استغفارًا فطوبى لمن ملأ صحيفته استغفارًا، وقد كان سيد ولد آدم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[1].

وقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كما في حديث الأغر بن يسار المزني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة**»[2].

أخي العزيز: واحبس لسانك عن الغيبة والبهتان وقول الزور، عود لسانك كثرة الذكر لله عَزَّوَجَلَّ، فمن ذكر الله ذكره الله تَبَارَكَوَتَعَالَى، فطوبى لمن كان لسانه رطبًا بذكر مولاه، فاللسان سلاح ذو حدين، إما أن يرفعك أعلا الدرجات أو يوردك

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

الدركات، فرب كلمة يقولها الشخص لا يلقي لها بالًا ترفعه عند الله عَزَّوَجَلَّ درجات، ورب كلمة يقولها لا يلقي لها بالًا تهوي به في نار جهنم والعياذ بالله، في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه سمع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[(١)].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم»[(٢)].

أخي المبارك رحمني الله وإياك: هذه إشارة وتذكير بما هو المطلوب منا ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات:٥٥]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [سورة الأعلى:٩-١٠]، فاللهم هذا تذكير لنفسي أولًا ولمن اطلع على هذه الورقات ثانيًا، فانفعني بها في الدارين، وانفع بها من اطلع عليها، واغفر لنا ولوالدينا، ووفقنا لكل خير، واجعلنا من المسارعين والمسابقين للخيرات والصالحات يا الله يا عظيم.

اللهم وفقنا لكل عمل يرضيك، وجنبنا يا الله كل عمل لا تحبه ولا يرضيك، وحبب إلينا الإيمان والطاعات، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اللهم إنا

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

نسألك الإخلاص في الأقوال والأعمال، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي.

غرة رمضان المبارك لعام ١٤٤٦هـ.

اغتنام العشر الأخيرة

الحمد لله الكريم الوهاب، من علينا بجميع النعم، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل:١٨]، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، محمد بن عبدالله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من نعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على بني آدم أن جعل هناك مناسبات تضاعف فيها الأعمال، وتضاعف الحسنات، وتكفر فيها الذنوب والسيئات، ومن تلك المناسبات شهر رمضان المبارك، ذلك الشهر الذي أُنزل فيه القرآن فكان خير الشهور، ونزل في العشر الأواخر منها فكانت هي خير ليالي رمضان، وأنزل في ليلة منها فكانت مباركة وكانت خير من ألف شهر، إنها ليلة القدر.

وقد ورد في فضل هذا الشهر المبارك أحاديث كثيرة منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب،

وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»[1].

وفي شهر رمضان العشر الأواخر منه هي أفضل من التي قبلها، وفيها ليلة القدر التي من قامها إيمانًا واحتسابًا يبلغ أعلى الدرجات، فهي خير من ألف شهر كما أخبر ربنا جَلَّوَعَلَا فقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [سورة القدر: ١-٥].

فهنيئًا ثم هنيئًا لمن قام هذه الليلة إيمانًا واحتسابًا، وذلك لقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

فيستحب الاجتهاد في هذه العشر المباركة؛ لنفوز بالفضل العظيم، ولنا في النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أسوة حسنة فقد كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يجتهد فيها ما لا يجتهد في

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٦٨٢)، وابن ماجه، برقم (١٦٤٢)؛ وصححه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٨٨٣)، والحاكم في المستدرك برقم (١٥٣٢)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة"، والألباني في صحيح الجامع، برقم (٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٦٠).

غيرها؛ لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخلت العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله"[1].

ومن الأعمال التي كان يحافظ عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه العشر عبادة الاعتكاف كما في حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: " كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف العشر الأواخر من رمضان"[2].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره"[3]، وهذا شامل للاجتهاد في تلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والصدقة، وغير ذلك من الأعمال.

ولكون ليلة القدر غير معلومة ولم تُحدد بليلة معينة فلا بد من الاجتهاد والمسارعة في العشر كلها فمن اجتهد فيها وسارع بالأعمال الصالحة فيها فإنه ولا بد يظفر بهذا الفضل العظيم في هذه الليلة المباركة.

ولعل من حكمة الله عَزَّوَجَلَّ في إخفائها أن يقوم الناس بتحريها بحيث يكثر اجتهادهم في العبادة فتكثر الأعمال وتكثر الأجور، وقد حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٩٢٠)، ومسلم، برقم (١١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٩٢١)، ومسلم، برقم (١١٧١).

(٣) أخرجه مسلم، برقم (١١٧٥).

بتحري ليلة القدر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»[2].

وقد سُئل ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة"[3].

فعلى الإنسان أن يحرص كل الحرص على اغتنام هذه الأيام المباركة ولا يفرط فيها، وعليه أن يتذكر بأنها أيام معدودات، فيكثر من قراءة القرآن، ويطيل القيام بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا، ويتضرع بين يديه سبحانه يدعوه ويناجيه، وعليه أن يحرص على تحري أوقات الإجابة خاصة في الثلث الأخير من الليل، وقت النزول الإلهي، حين ينزل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٩١٣).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٩١٧).

(٣) الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٧٧).

فأغفر له كما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[1].

فالليل محراب العابدين، ومثوى الساجدين، وروضة المخبتين، يناجون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى بكلامه، ويسألونه من عطائه، ويُعَفِّرون جباههم بذُل التوبة وعِزّ العبودية لله رب العالمين، ويَحْنون رؤوسهم لجبار السماوات والأرض، وملك الملوك، دموعهم منهمرة، وأيديهم ضارعة، وقلوبهم واجفة، ونفوسهم مولعة، يرجون الله ويخافونه، ولقد كان النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقف في خشوع وضراعة، ومناجاة ومناداة حتى تتشقق قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له -يعني لم تفعل ذلك بنفسك- فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٠٦٤)، ومسلم، برقم (٧٥٨) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري، برقم (١٠٧٨)، ومسلم، برقم (٢٨١٩)، ورقم (٢٨٢٠).

ولنا فيه أسوة حسنة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعننا على طاعته، وأن يوفقنا لمتابعة سيد ولد آدم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يوفقنا لقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، وأن يعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وإخواننا، وجميع المسلمين من النار.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وسلم.

بقلم/ أبي عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

سرعةُ الأيام واغتنامُ ما بقي من رمضان

الحمد لله الذي جعل تعاقب الأيام والليالي عبرةً لأولي الأبصار، وميدانًا للتزود من الطاعات، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ الذي دلَّ أمته على كل خير، وحثَّها على اغتنام الأوقات قبل فواتها، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم ما يوقظ القلب ويبعثه على المسارعة إلى الطاعة: تأمل سرعة مرور الأيام والليالي، فإنها تمضي بالإنسان مسرعةً نحو أجله، وكل يوم يمضي إنما يطوي صفحةً من عمره.

فما أن يضع الإنسان رأسه على الوسادة لينام إلا ويشرق نور الفجر، وما إن يستيقظ ويبدأ يومه إلا ويأتي موعد النوم من جديد.

وما أن يأتي بداية الأسبوع ولا تشعر إلا وأنت في آخره، وهكذا الشهور والأعوام، تمضي مسرعة كأنها لحظات عابرة.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [سورة الفرقان:٦٢].

بالأمس القريب ونحن نستقبل شهر رمضان المبارك شهر القرآن، شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار وها هو اليوم في الليلة الرابعة من العشر الأواخر.

والسعيد حقًا أيها الأحبة من ملأ صحيفته بالصالحات، وشغل وقته بالقربات، وحافظ على الفرائض والنوافل، ومن ذلك:

- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها مع جماعة المسلمين.

- أداء السنن الرواتب.

- الحرص على صلاة الضحى، ولتكن أربع ركعات.

- الترديد مع المؤذن والذكر بعد الأذان.

- المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

- الإكثار من قراءة القرآن، خاصة في شهر القرآن.

- الإكثار من الباقيات الصالحات والاستغفار (سبح، هلل، كبر، حوقل، استغفر).

- قول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم مائة مرة صباحًا ومساءً.

- الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صباحًا ومساءً، وأقل ذلك عشر مرات.

- الإحسان إلى الوالدين والجيران والمسلمين أجمعين.

أيُّ عملٍ صالح تقدر عليه فافعله، ولا تتردد فيه، وأيُّ طريق يقود إلى معصية أو شر ففرَّ منه فرارك من النار.

فالأحداث تتسارع من حولنا، والموت يتخطف الناس من بين أيدينا، يتخطنا إلى غيرنا ويُخشى أن يتخطى غيرنا إلينا؛ لذا علينا باغتنام الأوقات والمسارعة في الخيرات، والإكثار من تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وتدبره خاصة في هذ الشهر المبارك، والمحافظة على ما سبق الإشارة إليه من أعمال.

وعلينا أن نقارن عبادتنا بعبادة السلف الصالح وما كانوا عليه من العبادة والمسارعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وتلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والتقوى والخوف من الله جَلَّوَعَلَا، فالدنيا زائلة فانية ما ذكرها الله سبحانه في القرآن إلا وذمها، فهي متاع الغرور والآخرة هي دار البقاء والدوام.

إما سعادة أبدية أو شقاء وعذاب أبدي.

فيا خسارة من أدرك المواسم العظيمة ثم خرج منها كما دخل!

فاللهم إنا نعوذ بك من الغفلة والاغترار بالدنيا، ونسألك التوفيق والعون والسداد، وحُسن العمل والتوفيق لكل خير.

اللهم اجعلنا ممن صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا، وأعنا فيه على الصيام والقيام وقراءة القرآن.

اللهم إنا نسألك حُسن الخاتمة، اللهم اختم لنا بخير وعلى خير، وأنت راضٍ عنا يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

ليلة الجمعة ٢٤ رمضان ١٤٤٧هجرية

اليمن – صنعاء.

الغاية من عبادة الصيام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ شرع الصوم لغاية شريفة جدًّا وهي الوصول إلى تقوى الله عَزَّوَجَلَّ كما في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [سورة البقرة:١٨٣]، فيجب على العبد أن يسلك الأسباب التي تُوصله إلى تحقيق هذه الغاية وهي تقوى الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي الآية إخبار بأن الصوم كتبه الله عَزَّوَجَلَّ على الأمم السابقة، وهذا فيه تسلية للمسلمين ليهُون عليهم صيام شهر رمضان المبارك، ثم زاد في تهوين الأمر وأن ذلك سهل قليل بقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [سورة البقرة:١٨٤].

ثم مزيدًا من التيسير على العباد قال جل وعز بعد ذلك: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ ﴾ [سورة البقرة:١٨٤].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحِمْيَتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى

الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾"[1].

والتقوى قيل في معناها كلام كثير مؤداه: أنها بمعنى الوقوف عند حدود الله عَزَّوَجَلَّ لا يقع فيها، والعمل بما فرض عليه والانتهاء عما نُهي عنه. بحيث لا يقصر ولا يتعدى.

وقال طَلْقُ بن حبيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأنها: "هي العمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله"[2].

فتفقد نفسك كيف أنت وتقوى الله عَزَّوَجَلَّ؟ هل حققت شيئًا منها؟ مضى من رمضان ما يقرب النصف فعلى كل واحد منا أن يراجع حسابه.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من المتقين، وأن يوفقنا لتقواه والخوف والخشية منه سبحانه، ونسأله أن يرزقنا مراقبته في السر والعلن، وأن يطهر قلوبنا من الأدناس وأن يصلحها، ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يقينا شر أنفسنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/

محمد بن عبدالله العبدلي

مساء الجمعة ١٤ رمضان ١٤٤٦هجرية

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٢).

الباب الرابع: مقالات تربوية وتنبيهات

يحتاج المسلم في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ إلى من يرشده ويبين له بعض الأخطاء التي قد يقع فيها، وينبهه إلى أمور قد تخفى عليه.

وفي هذا الباب جملة من المقالات التربوية والتنبيهات التي تتناول بعض القضايا المهمة، وتبين بعض المواقف والعبر التي يستفيد منها المسلم في حياته، ليكون على بصيرة من أمره، حريصًا على سلامة دينه وصلاح قلبه.

تنبيهات مهمة لكل كاتب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا أيها الكاتب اللبيب: هذه كلمات ونصائح قد يحتاجها من يتصدر للكتابة والرد على المخالف ابتعد عن:

أولًا: ابتعد عن الظلم: وظلم المخالف يكون له صور متنوعة منها: (قد تفهم من كلامه غير مراده فتُقوله مالم يقل – عدم العدل معه والله سبحانه يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ

﴿أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿٨﴾ [سورة المائدة:٨]، - اتهام نيته - وغير ذلك). فالظلم ظلمات يوم القيامة.

ثانيًا: حين ترد على المخالف تجنب الكلمات المسيئة والجارحة التي يترفع الإنسان عن النطق بها؛ لعموم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة:٨٣].

ثالثًا: حين ترد على المخالف على مسألة ما خالف فيها تَقَيَّدَ بِهَا، فقد تتهمه بالعجب والغرور مثلاً وتخرج عن المسألة فتأتي لتعريف العجب والأدلة على تحريمه وأقوال أهل العلم في ذلك.

رابعًا: لا يكن فهمك أو فهم شيخك أو فهم حزبك أو جماعتك هو الميزان الذي تحاكم الناس عليه، بحيث يكون لسان حالك: (إذا لم تكن معي أو على فهمي أو فهم حزبي أو فهم شيخي فأنت وأنت...).

خامسًا: إن كان ردك انتصارًا للنفس على من تكلم عليك مثلًا، أو رد عليك ولم يكن نصرة لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فدع الكتابة خير لك.

سادسًا: إن كان همك رجوع من خالف إلى الحق فاستخدم العبارة التي تُظهر الحق بالحجة والبرهان بدون تشنج، وإبراز عضلات، واستخدام ألفاظ لا تليق بك ولا أن تصدر عنك، كما أنها لا تليق بمن ألقيتها عليه، يبقى أنه مسلم.

سابعًا: المسألة التي ترد عليها أحيانًا يكون الخلاف فيها سائغ، ومن قال بها له سلف، فهذه تختلف عمن خالف نصًا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو سنة ثابتة عن النبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ثامنًا: أنت مسؤول عن كل ما تقول وتكتب: عليك أن تعلم أيها الكاتب والناشر أنك مسؤول بين يدي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عما تكتب وعن كل قول، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٨]، كلها ألفاظ دالة على العموم.

فأحسن اختيار الكلمات المكتوبة والمسموعة، وعليك أن تكون مشفقًا على من ترد عليه، راجيًا له الرجوع للحق والصواب، داعيًا له بالتوفيق للحق، وما أجمل قول القائل وأجمل بقوله:

فلا تكتب بكفك غير شيء *** يَسرك في القيامة أن تراه.

فهذه إشارات ونصائح كتبتها على عجل قصدت بها الزلفى إلى الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، لك غنمها وعلى كاتبها غرمها، فاللهم تقبلها مني، ونفع بها كاتبها، وقارئها في الدارين.

وأسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل.

وإن تجد عيبًا فسد الخللا *** جل من لا عيب فيه وعلا.

والحمد لله رب العالمين.

كتبها/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

تمهل قبل أن تكتب

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

أخي الكريم: يا من عقدت العزم على الكتابة والبيان (تمهل قبل أن تكتب)، واعلم رحمني الله وإياك أن الكلمة أمانة، وأن القلم وما تخطه البنان على الورق أو الهاتف أو الكمبيوتر شاهد لك أو عليك، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل منك إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، وقف عند أمر الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، كما قال الحسن البصري في قوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلم، ويعفو، ويصفح، ويقول للناس حسنًا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله"[(١)].

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أمر بالإحسان إلى الناس عمومًا فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٣١٧).

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة العنكبوت:٤٦].

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيهًا في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملًا لكل أحد، صبورًا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالًا لأمر الله، ورجاء لثوابه"[1].

أخي الحبيب: فكلما أردتَ أن تأخذ القلم أو الهاتف أو الكمبيوتر للكتابة تمهل! تمهل قبل أن تكتب.

- ماذا ستكتب؟
- ولماذا ستكتب؟
- وهل ما تكتبه يُرضي الله سبحانه؟

فإن كان نعم فهو المطلوب، وإن كان لا فأعرض ولا تكتب خير لك.

- **هل ما تكتبه لله عَزَّوَجَلَّ؟ وقصد النصيحة أم انتصارًا لنفسك وحزبك وجماعتك؟**

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٥٧-٥٨).

فإن كانت الأولى فنِعم ما قمتَ به، وإن كانت الأخرى فالإعراض أولى.

- وليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر.

- وليكن نقدك للخطأ صحيحًا بعيدًا عن الفجور في الخصومة والبهتان، ولا تقوله بما لم يقل، أو تلزمه بما ليس بلازم، ولا يكن نقدك وردك انتصاراً لنفسك وحزبك، وأن يكون سليمًا من السب والشتم والألفاظ التي يترفع عنها العوام.

- إياك والتطاول على الكبار من أفنى عمره في خدمة الدين تعلمًا وتعليمًا، واعلم بأنك إن فعلت ذلك فلن تضر إلا نفسك.

- واعلم بأن البحر لا ينجس برمي القاذورات فيه.

- ولا تكن كمن يعالج الزكام بما يسبب الجذام.

- ولا ترد الخطأ بمثله أو أشد، ولا المنكر بمنكر.

- ومن عصى الله عَزَّوَجَلَّ فيك فلا تعص الله سبحانه فيه. بمعنى إن سبك وشتمك وافترى عليك واغتابك شخص فهذه معصية لله عَزَّوَجَلَّ فلا يكن هذا مبررًا لك لمعصية الله عَزَّوَجَلَّ فيه بأن تغتابه أو تسبه أو تفتري عليه، فالحرام حرام، يجوز لك أن تنتصر لنفسك لكن لا تتجاوز بحيث إن كذب عليك فتبين كذبه وافتراءه ولا يجوز لك بحال أن تكذب عليه بحجة أنه كما كذب عليك تكذب عليه، أو افترى عليك أن تفتري عليه.

- الرد على المبطلين من أفضل القُرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولكن الرد ليس لكل أحد، وأن للرد آدابًا فاحرص عليها؛ ليكن ردك مقبولًا عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويضع له القبول

عند خلقه، بل على المردود عليه أحيانًا، بخلاف الرد حين يكون فيه ألفاظ وكلمات لا تليق، فإن ذلك قد يكون سببًا في الإعراض عن القراءة ولو كنتَ مُحقًا.

وإن من الفجور في الخصومة ومن الظلم أيضًا:

حين تُخرج إنسانًا من السنة بمجرد أن تختلف معه؟ أو بمجرد أن يختلف هو مع من تُحب، ولو كان الخلاف في مسألة اجتهادية، والخلاف فيها سائغًا.

ومن الظلم أيضًا رمي من تختلف معه بالفواقر، وتفتري عليه بما ليس فيه، وتقوله مالم يقل، فكيف إذا كان ذلك مع أهل العلم والفضل! وكيف إذا كان ذلك مع من تعرفه لكن لحظوظ نفس!

فالإنصاف الإنصاف.

وللأسف أصبحنا في زمن الإنصاف فيه أندر من الكبريت الأحمر كما يُقال.

وأخيرًا أخي الفاضل:

إن كان قصدك الخير بردك فتخير الأسلوب الأجمل الذي يكون سببًا لقبول نصحك وردك عند المردود عليه ومن يقرأ كلامك.

وتذكر أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يقول لأكبر طاغية فرعون قولًا لينًا: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه:٤٤]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون

إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه؟

وقال وهب بن منبه: قولا له: إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة"[1].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: سهلًا لطيفًا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النازعات:١٨-١٩] فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ"هل" الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل: "أزكيك" بل قال: "تزكى" أنت بنفسك.

ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ فلما لم يقبل هذا

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٢٩٤).

الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينجع فيه تذكير فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر"[1].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح، ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا ونقلًا.

---

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٥٠٦).

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تُؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"[(١)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما كلمت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفَّق ويُسدَّد ويُعان، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبالِ بَيّنَ الله الحق على لساني أو لسانه"، وقال أيضًا: "ما ناظرت أحدًا قط فأحببت أن يخطئ"[(٢)].

فاجعل أخي الفاضل: ردّك مبنيًا على نصوص الوحي، وأقوال أهل العلم المعتبرين، ولا تُقابِل الخطأ بالخطأ، ولا الجهل بجهل، فإن الغاية لا تُبرر الوسيلة، وإنّ من أعظم أسباب القبول أن يكون الرد مهذّبًا، ناصحًا، نابعًا من رحمةٍ، خاليًا من الطعن والتشهير.

وليكن لك في أئمة الإسلام أسوة، فقد كانوا يردّون على أهل البدع والمخالفين، ويبيّنون زللهم، ولكن بصدق وعدل وإنصاف، لا بسبٍّ ولا طعن.

واعلم بأن الكلمة الطيبة مفتاح القلوب، وأن ردّك إن خرج من قلب مخلص، وبُني على علم، وصيغ بأدب، فسيقع موقعه، ويُؤتي ثمرته بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص:٤٥٢).

(٢) ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم (ص:٣٢٦)، وحلية الأولياء، لأبي نعيم (٩/ ١١٨)، والفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (٢ / ٢٦).

وقد سئل الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما هو الأسلوب المناسب للنصيحة والدعوة إلى الله سبحانه؟

فأجاب: الأسلوب المناسب في الدعوة إلى الله والنصيحة هو الأسلوب الذي أرشد الله إليه، وأمر به عباده في كتابه الكريم في قوله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ الآية [سورة الإسراء:٥٣].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [سورة البقرة:٨٣].

وقوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [سورة النحل:١٢٥].

وقوله سبحانه: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾ الآية [سورة العنكبوت:٤٦].

وقوله عَزَّوَجَلَّ يخاطب نبيه محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آل عمران: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩].

وقوله سبحانه لما بعث موسى وهارون إلى فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة طه:٤٤].

وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1].

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم (٢٥٩٤).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، اللهم ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه»[1]، أخرجه مسلم في صحيحه.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[2].

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة؛ فالواجب على العلماء والأمراء والدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن ينهجوا هذا المنهج الذي أرشد الله إليه وأرشد إليه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ينصحوا الناس ويعالجوا مشاكلهم بالطريق التي أرشد الله إليها سبحانه وأرشد إليها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ظلم واعتدى ولم ينفع فيه التوجيه والنصيحة وجب على ولاة الأمر أن يعاقبوه بالعقوبات الشرعية.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم (١٨٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة، برقم (٤٩٤٤)، وأصله عند مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥)، بلفظ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

ومن ثبت عليه ما يوجب إقامة الحد أو التعزير وجب تنفيذ حكم الله فيه بواسطة أولي الأمر ومن يستنيبونه في ذلك ردعًا له ولأمثاله، وحماية للمجتمع الإسلامي من جميع أنواع الفساد[1].

واعلم أخي الكريم:

بأن المسلم ليس بالسباب ولا باللعان ولا الفاحش البذي، واجعل نصب عينك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] [سورة البقرة:٨٣]، فلنستجب لأمر الله سبحانه فلا يقول أحدنا إلا الخير، والقول الحسن الطيب، والله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا.

واعلم بأن ردّك لا يُقبل عند الله عَزَّوَجَلَّ إلا إذا كان لله جَلَّوَعَلَا، ولا يُقبل عند الخلق إلا إذا كان مبنيًا على العلم، محكمًا بالدليل، موزونًا بميزان الإنصاف، مجرّدًا من الألفاظ غير الحسنة، خاليًا من الشتم واللمز وسوء الظن، ممتثلًا قول الحق جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ما دمت تريد بردك الخير، والنصح له.

وختامًا: أقول مذكرًا:

(تمهل قبل أن تكتب)، وسأل نفسك: ماذا سأكتب؟ ولماذا أكتب؟ وهل ما سأكتبه يُرضي الله عَزَّوَجَلَّ؟

---

(١) من سؤال وُجِّه لسماحته من جريدة عكاظ بمناسبة دخول شهر رمضان المبارك عام١٤١٣هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٢٧/ ٣٥٩). وهو في موقعه على الرابط: https://٢u.pw/Lz٨٥akq٨.

فأخلص النيّة لله جَلَّوَعَلَا، وكن عونًا على نشر الخير السنة، لا سببًا في التنفير وجحد الحق ورده.

فاللهم بصرنا بعيوبنا وقنا شر أنفسنا، وفقني الله وإياكم للإخلاص في القول والعمل، وجنبنا الزلل في القول والعمل، "إلهِي لا تعذب لسانًا يُخبر عنك، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدمًا تمشي إلى خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسولك. فبعزتك لا تدخلني النار، فقد علم أهلها أني كنت أذبّ عن دينك"[1].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

كتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

اليمن – صنعاء.

آخر تعديل عليه بعد عصر الاثنين

العاشر من شهر صفر عام ١٤٤٧ من الهجرة.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩٩).

سؤال لمن يهنئ النصارى بعيد ميلادهم

الحمد لله الواحد الأحد، المنزه عن الصاحبة والولد، القائل في كتابه الكريم: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:٣-٤]، والصلاة والسلام على البشير النذير محمد بن عبدالله الصادق الأمين الذي بشر به عيسى بن مريم عبدالله ورسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أخبر الله عنه في كتابه الكريم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف:٦]، أما بعد:

فهذا سؤال يطرح نفسه لمن يهنئ النصارى باحتفالهم: **النصارى يحتفلون بعيد ميلادهم فبماذا يحتفلون؟**

وأنت حين تهنئهم: على ماذا تهنئهم؟

ويمكن أن يقال:

معلوم عند الجميع أن النصارى يحتفلون في عيد الميلاد بمولد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنه ابنُ الله عَزَّوَجَلَّ أو أن الله تجسّد فيه، تعالى الله وتنزه عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهذا هو أصلُ احتفالهم، وليس مجرد ذكرى تاريخية أو مناسبة اجتماعية، ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة:١٧].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة مريم:٣٥].

فأنت يا حضرة المهنئ الوسطي (كما يُقال) حين تهنئهم على ماذا تهنئهم؟

حين تقول: "عيد ميلاد سعيد"، **أما تخشى أن يكون فعلك هذا في حقيقة الأمر اقرار لهم على أصل احتفالهم؟**

فالتهنئة ليست مجاملةً مجردة، بل مشاركة معنوية وإظهار رضًا بشعيرة من شعائرهم الدينية وقد تكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسألة بكلام بديع ينبغي مراجعته والوقوف عنده في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم).

وكذا تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه أحكام أهل الذمة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَأَمَّا التَّهْنِئَةُ بِشَعَائِرِ الْكُفْرِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَحَرَامٌ بِالِاتِّفَاقِ مِثْلَ أَنْ يُهَنِّئَهُمْ بِأَعْيَادِهِمْ وَصَوْمِهِمْ، فَيَقُولَ: عِيدٌ مُبَارَكٌ عَلَيْكَ، أَوْ تَهْنَأُ بِهَذَا الْعِيدِ، وَنَحْوَهُ، فَهَذَا إِنْ سَلِمَ قَائِلُهُ مِنَ الْكُفْرِ فَهُوَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يُهَنِّئَهُ بِسُجُودِهِ لِلصَّلِيبِ، بَلْ ذَلِكَ أَعْظَمُ إِثْمًا عِنْدَ اللهِ وَأَشَدُّ مَقْتًا مِنَ التَّهْنِئَةِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَقَتْلِ النَّفْسِ وَارْتِكَابِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ وَنَحْوِهِ.

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ لَا قَدْرَ لِلدِّينِ عِنْدَهُ يَقَعُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَدْرِي قُبْحَ مَا فَعَلَ، فَمَنْ هَنَّأَ عَبْدًا بِمَعْصِيَةٍ أَوْ بِدْعَةٍ أَوْ كُفْرٍ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمَقْتِ اللهِ وَسَخَطِهِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْوَرَعِ

مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَجَنَّبُونَ تَهْنِئَةَ الظَّلَمَةِ بِالْوِلَايَاتِ، وَتَهْنِئَةَ الْجُهَّالِ بِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ وَالْإِفْتَاءِ تَجَنُّبًا لِمَقْتِ اللهِ وَسُقُوطِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ، وَإِنْ يُلِيَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ فَتَعَاطَاهُ دَفْعًا لِشَرٍّ يَتَوَقَّعُهُ مِنْهُمْ فَمَشَى إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، وَدَعَا لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ"(١).

وهنا سؤال: **مَن مِن أهل العلم (من غير المعاصرين) أجاز التهنئة للنصارى بعيد ميلادهم؟** سم لنا ثلاثة أو أربعة.

وأختم مذكرًا بقول الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة:١٧].

وبقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:٣-٤].

وبسورة الكافرون.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

ليلة الجمعة الثالث عشر من رجب عام ١٤٤٧هجرية

(١) أحكام أهل الذمة - ط رمادي (١/ ٤٤١-٤٤٢).

العلاج سبب للشفاء وتطييب لنفس المريض

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ ما أنزل من داء إلى وجعل له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله، والعلاج والدواء هو سبب من أسباب الشفاء والشافي هو الله سبحانه، وقد

أخرج الإمام مسلم من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

قال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: "فهذا فيه تنبيه حسن بين، وذلك أنه قد علم أن الأطباء يقولون: إن المرض خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده إليه وحفظ الصحة بقاؤه عليه، فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض...

فكأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تلافى بآخر كلامه ما قد يعارض به أوله، بأن يقال: فإنك قلت: «لكل داء دواء» ونحن نجد كثيرًا من المرضى يداوون فلا يبرؤون. فنبه على

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٢٠٤).

أن ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة لا لفقد الدواء، وهذا تتميم حسن في الحديث"[1].

والأدوية والعلاجات متنوعة، فمنها: الرقية الشرعية وهي أن تكون من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ومنها ما يكون بما أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالحجامة والعسل وشرط المحجم، والعود الهندي والحبة السوداء.

والعلاج سبب من أسباب الشفاء والشافي هو الله عَزَّوَجَلَّ فقد يُعالج شخص ويُشفاء ويعالج آخر بنفس العلاج لنفس المرض فلا يشفى؛ لأن هذا سبب والشافي هو الله عَزَّوَجَلَّ، قال الحافظ ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللَّهُ: "المعالجة إنما هي لتطيب نفس العليل، ويأنس بالعلاج، ورجاء أن يكون من أسباب الشفاء كالتسبب لطلب الرزق الذي قد فرغ منه.

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء**»، دليل على أن البرء ليس في وسع مخلوق أن يعجله قبل أن ينزل ويقدر وقته وحينه، وقد رأينا المنتسبين إلى علم الطب يعالج أحدهم رجلين وهو يزعم أن علتهما واحدة في زمن واحد وسن واحد وبلد واحد، وربما كانا أخوين توأمين غذاؤهما واحد، فعالجهما بعلاج

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ١١٢).

واحد فيفيق أحدهما ويموت الآخر، أو تطول علته ثم يفيق عند الأمد المقدور له"[1].

وأخرج مسلم في صحيحه عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه شكا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[2].

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا العلاج من الطب الإلهي؛ لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته، وتكراره يكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد لغيرها"[3].

وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "ففي هذا العلاج من ذكر الله، والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته، وقدرته من شر الألم ما يذهب به، وتكراره؛ ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء؛ لإخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها"[4].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٢٠٢).

(٣) فيض القدير (٤/ ٢٥٦).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٧٢).

وقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يرقي بهذا الدعاء العظيم: «اللهم رب الناس مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا»[1].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ معلقًا على الحديث: "ففي هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه بتوحيده، وإحسانه، وربوبيته"[2].

فالمريض عليه أن يتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بربوبيته العامة: «اللهم رب الناس»؛ لأن الله هو الخالق المالك المدبر، خلقتني أنت تمرضني وأنت تشفيني، قدرت عليَّ المرض أسألك الشفاء، أسألك أن ترفعه، الطبيب سبب، الدواء سبب، الشافي هو الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، أنزل القرآن رحمة للعالمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [سورة يونس:٥٧].

وجعل الله جَلَّوَعَلَا القرآن شفاء لأمراض القلوب، شفاء من الوسواس والشك والنفاق، وشفاء من الشبهات والشهوات، والحسد وسوء الظن.

قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [سورة الإسراء:٨٢]، قال البغوي رَحِمَهُٱللَّهُ: "من" ليس

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٧٤٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٧٣).

للتبعيض، ومعناه: وننزل من القرآن ما كله شفاء أي: بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة فهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له"[1].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة.

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل"[2].

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ١٢٣).

(٢) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص: ٤٦٥).

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [سورة فصلت:٤٤]، فالقرآن كله شفاء، فاستشف بالقرآن يا عبدالله لكل مرض نزل بك، استشف بالقرآن وقرأه على كل مرض نزل بأهلك وأحبابك، وقرأ القرآن على من أتاك مريضًا يطلب رقية فهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ وأخبر سبحانه بأنه شفاء وكُن موقنًا بأنه شفاء، وهذا لا يعني أن تترك الذهاب إلى الطبيب ولا يعارضه، استشف بالقرآن واذهب إلى الطبيب، ارق نفسك واذهب إلى الطبيب.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بمنه وكرمه أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا، اللهم اجعلنا من العاملين به الواقفين عند حدوده، واجعله لنا شفاء لجميع أمراضنا، وشفيعًا لنا في الآخرة، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

ليلة الجمعة/ ٢٧ شوال/ ١٤٤٦هجرية.

الفرق بين الطبيب والذباب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فمن العبارات التي تردد كثيرًا: **«لا تكن كالذباب»**.

لا تكن كالذباب لا يقع إلا على الخبث والقاذورات، وهذه العبارة ليست على إطلاقها، فقد تكون عبارة صحيحة من جهة، ولكن البعض يريد بها ترك النهي عن المنكرات والاحتساب عليها، كيف ذلك؟

تكون صحيحة حينما يتكلم الإنسان عن المنكرات ليس غرضه إصلاحها أو النهي عنها، وإنما قصده الشماتة بأصحابها، والفرح بزلات أصحابها وإشاعتها في المجتمع، والوقوع في أعراض الناس وذكر مثالبهم، والفرح بعثراتهم وطلب زلاتهم، فمن كان هذا حاله فهو كالذباب.

أما من أنكر المنكر؛ لكونه منكرًا ممتثلًا أمر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب استطاعته وبمراتبه، قصده في ذلك سلامة المجتمع من المنكرات، وإزالة الباطل، فهو بمثابة الطبيب.

ولكن عليك أخي الداعية: الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن تأمر بالمعروف بالمعروف وأحسن عبارة، وتنهى عن المنكر بالمعروف والقول الحسن، ولا تنه عن

منكر بمنكر أو ما يؤدي إلى منكر، وعليك أن تجعل نصب عينيك قول الحق جَلَّوَعَلَا: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أمر بالإحسان إلى الناس عمومًا فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت:٤٦].

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملا لكل أحد، صبورا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالا لأمر الله، ورجاء لثوابه"[(١)].

وقول الله سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء:٥٣]، قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق

(١) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن) (ص:٥٧-٥٨).

والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وهذا أمر بكل كلام يُقرِّب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما.

والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره"[1].

فما أروع الطبيب الحاذق فإنه يقع على مواطن الألم والوجع، وأحيانًا يصل به الأمر إلى تدخُّل جراحي أو بَتْر عضو من أعضائه؛ حفاظًا على بقية البدن.

وكذا النقد للأخطاء وإنكار المنكرات، وبيان فساد آراء المفسدين؛ تحذيرًا لبقية المجتمع من هؤلاء وأفكارهم بأسلوب حسن وعبارة لطيفة.

عليك أن توصل ما تريد بألطف عبارة ليكون لها أثرها على من تحتسب عليه أو تأمره بالمعروف ما دام غرضك من نهيك عن المنكر ترك المنكرات،

بخلاف قول القائل: لا تكن كالذباب لا يقع إلا على القاذورات. أهذا يقال لمن يريد طهارة المجتمع وإزالة الباطل!

---

(١) تفسير السعدي (ص:٤٦٠).

فإن وقع الطبيب على الموضع السليم يريد علاج المريض وقام ببَتْره، أو قام بعملية جراحية لمريض لغير المرض الذي فيه فهذا دليل على فشله، والدليل على نجاحه وتمكُّنه من مهنته فإنه يقع على موطن الألم ولو وصل به الأمر إلى بَتْر عضو من أعضاء المريض، ويكون قصده في ذلك إنقاذ المريض والمحافظة على بقية الجسد.

والذباب يقع على القاذورات والنتن متلذذًا بها، آخذًا جزءً منها.

فإن وقع على شيء طيب فإنه ينقل إليه الخبث والمرض، فهذه العبارة ليست على إطلاقها، ففهم ذلك.

فتشبيه من يقوم بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف بالذباب تشبيه خاطئ، ولا يصح إطلاقًا، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فيه شبه بالطبيب، الطبيب يقوم بمعالجة الأجساد من الأمراض، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يقوم بمعالجة المجتمعات من المنكرات والفساد، والأفكار المنحرفة، والأمر بالمعروف.

فاللهم وفق وأعن كل آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر وأعِنْه وسَدِّدْه وارزقه الأسلوب الحسن في الدعوة إليك يا رب العالمين، اللهم ووفق كل صاحب منكر للإقلاع عنه ويسر له التوبة منه.

اللهم طهر قلوبنا من كل خُلق لا يرضيك، وطهرها من الغل والحقد والحسد والكبر، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.

اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل، وجنبنا يا ربنا الزلل في القول والعمل، ووفقنا لكل خير يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله العبدلي

الأربعاء ٢٣ ذي القعدة/ ١٤٤٦هجرية

٢١ مايو/ ٢٠٢٥ميلادي.

العفيفة الطاهرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الحمد لله الذي اختار لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير هذه الأمة، فحملوا الدين، وبلّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، فكانوا الواسطة بيننا وبين الوحي، لا يُعرف الإسلام إلا عن طريقهم، ولا يُفهم إلا بفهمهم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وبعد:

فقد ابتُليت الأمة عبر تاريخها بأقوامٍ خاضوا في جناب الصحابة وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فانتقصوا من قدرهم، وطعنوا في عدالتهم، إمّا جهلًا بحقيقتهم، أو اتباعًا لأهواء ومذاهب تخالف ما كان عليه السلف الصالح.

ومن هنا تبرز أهمية بيان المنهج الحق في هذا الباب، وهو منهج أهل السنة والجماعة، القائم على حب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، والترضي عنهم، والكف عما شجر بينهم، ومعرفة قدرهم وسبقهم، واليقين بأنهم خير القرون، وأن الطعن فيهم طعنٌ في الدين نفسه.

وفي هذه الورقات بيانٌ لهذا المنهج، تأصيلًا وتقعيدًا، مع إيضاح أصوله وأدلته، ليكون القارئ على بصيرة، ويسير على طريقٍ واضح في هذا الباب العظيم.

منهج أهل السنة في الصحابة وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

فمن المعلوم أن منهج أهل السنة والجماعة حب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوليهم، وكذلك حب آله الأطهار وأزواجه العفيفات الطاهرات

وتوليهن ويتبرؤون من كل من أبغضهن أو أبغض الصحابة الكرام رضوان الله على الجميع، وأهل السنة والجماعة قائمون بالقسط شهداء لله، وقولهم حق وعدل لا يتناقض.

موقف الرافضة ومخالفته لمنهج أهل السنة

وأما الرافضة ففي أقوالهم من التناقضات الشيء الكثير ومن قرأ لهم أو شاهد قنواتهم يدرك ما عليه القوم من كذب وزور وسب ولعن لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وأبوها وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، وأهل السنة والجماعة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة، وكذلك أمهات المؤمنين: عائشة وغيرها، وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء، ويمسكون عما شجر بين الصحابة من الخلاف والقتال فتلك دماء عصمنا الله منها فنعصم ألسنتنا من الوقيعة بهم.

موقف أهل السنة من أخطاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال شيخ الإسلام كلامًا أورده بتصرف: "وأهل السنة يقولون: إن أهل الجنة ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ، بل ولا عن الذنب، بل يجوز أن يذنب الرجل منهم ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا ويتوب منه، وهذا متفق عليه بين المسلمين.

وإذا كان هذا أصلهم فيقولون: ما يذكر عن الصحابة من السيّئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه

اجتهادهم، وما قدّر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم: إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفّرة، وإما بغير ذلك، فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه: أنهم من أهل الجنة، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحد منهم على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم الجنة.

ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة، ولو لم يعلم أن أولئك المعينين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يعلم أنهم يدخلون الجنة، ليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلك، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين، والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد منهم باطنًا وظاهرًا وحسناته وسيئاته واجتهاداته، أمر يتعذر علينا معرفته؟! فكان كلامنا في ذلك كلامًا فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام، ولهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيرًا من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال، إذ كان كثير من الخوض في ذلك أو أكثره كلامًا بلا علم، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوىً ومعارضة الحق المعلوم، فكيف إذا كان كلامًا بهوىً يطلب فيه دفع الحق المعلوم؟!

فمن تكلّم بهذا الباب بجهل أو بخلاف ما يعلم من الحق كان مستوجبًا للوعيد، ولو تكلّم بحق لقصد إتباع الهوى لا لوجه الله تعالى، أو يعارض به حقًا آخر لكان

أيضًا مستوجبًا للذّم والعقاب، ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم، ورضي الله عنهم واستحقاقهم الجنة وأنهم خير هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، لم يعارض هذا المتيَقَّن المعلوم بأمور مشتبهة: منها مالا يعلم صحته ومنها ما يتبين كذبه.

ومنها مالا يعلم كيف وقع ومنها ما يعلم عذر القوم فيه، ومنها ما يعلم توبتهم منه.

ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال، وإلا حصل في جهل وكذب وتناقض كحال هؤلاء الضلال"[1].

وجوب محبة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والدفاع عنها

ويتبرؤون كذلك من كل من يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها، فقد كانت أحب الناس إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجب علينا أن نحب ما يحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد سئل النبي

(١) منهاج السنة، للشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣١٠ - ٣١٣)، بتصرف.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحب الناس إليك؟ فقال: «عائشة»، قيل: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»[(١)].

فضل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا على النساء

وأخبر أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[(٢)]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الثَرِيد بفتح المثلثة وكسر الراء معروف وهو أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين وربما كان أنفع وأقوى من نفس اللحم النضيج إذا ثرد بمرقته"[(٣)].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على هذا الحديث: "قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد مالا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذا خليلا)، برقم (٣٦٦٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (٣٧٦٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٦).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٥٥١)، دار المعرفة.

الثريد على غيره من الأطعمة وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة"[١].

من خصائصها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وهي زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة كما بشرها بذلك فدل على أنها من أهل الجنة الأبرار، وبرأها الله من فوق سبع سماوات أنزل قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة، رأها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام جاء بها ملك في سرقة من حرير ويقول له هذه امرأتك، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**»[٢].

من فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ومن فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يعلمون من يُحب حبيبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتحرون بهداياهم يوم يكون عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٣].

ومن فضائلها أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يسلم عليها كما في حديث أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حدثته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «**إن جبريل يقرأ عليك السلام قالت: فقلت: وعليه السلام ورحمة الله**»[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٣٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٧).

ومن فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بحب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أرسل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة، قالت فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أي بنية ألست تحبين ما أحب؟**»، فقالت: بلى، قال: «**فأحبي هذه**»، قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجعت إلى أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقولي له إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقالت فاطمة والله لا أكلمه فيها أبدا، قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب بنت جحش زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى ما عدا سورة من حد كانت فيها تسرع منها الفيئة قالت: فاستأذنت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها فأذن لها رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي فاستطالت علي وأنا أرقب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكره أن أنتصر قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها حين أنحيت عليها قالت: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتبسم إنها ابنة أبي بكر»[1].

ومن فضائلها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات في بيتها واستأذن أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ في أن يمرض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكانت تقول: مات بين سحري ونحري كما في حديث عن عائشة قالت: إن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتفقد يقول أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري"[2].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟»، يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها قالت عائشة فمات في اليوم الذي يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، برقم (٢٤٤٣).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبدالرحمن فأعطانيه فقضمته ثم مضغته، فأعطيته رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستن به وهو مستند إلى صدري"[(١)].

ثناء العلماء على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

ومن فضائلها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتزوج بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة مثلها كما يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثم يقال لها: الحميراء"[(٢)].

ولم يتزوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها.

وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها، وهذا مردود، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، بل نشهد أنها زوجة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخرة"[(٣)].

نقل الحافظ ابن كثير في بيان خصائص عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، برقم (٤٤٥٠)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٤٤٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) "تصغير حمراء، يريد بها البيضاء، وامرأةٌ حمراء أي: بيضاء" انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (١/ ١٠٤٤)، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (١١/ ٧٣)، وتهذيب اللغة، للأزهري (٥/ ٣٧).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢/ ١٤٠).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "تزوج الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة سنة ثمان وخمسين، ومن خصائصها: أنها كانت أحب أزواج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، كما ثبت ذلك عنه في البخاري وغيره، أنه سئل أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة". قيل: فمن الرجال؟ قال: "أبوها"، **ثم ذكر جملة من خصائصها فمنها:**

أنها أحب الناس إليه كما في الحديث المتقدم.

ومنها: أنه لم يتزوج بكرًا غيرها.

ومنها: أن الوحي كان ينزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في لحافها دون غيرها من النساء.

ومنها: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أنزل الله عليه آية التخيير بدأ بها فخيرها، فقال: «**ولا عليك أن تعجلي حتى تستأمري أبويك**»، فقالت: أفي هذا أستأمر أبويَّ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة" فاستن بها بقية أزواجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: أن الله برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل عذرها، وبراءتها، وحيًا يتلى في محاريب المسلمين، وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها أنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا

لها، ولم يكن شرًا لها، ولا عيب، ولا خافض من شأنها بل رفعها الله بذلك، وأعلى قدرها وعظم شأنها.

ومنها: أن أكابر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان إذا أشكل عليهم أمر في دين الله سألوها يجدوا عندها علمًا.

ومنها: أن الملك أرى صورتها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يتزوجها في خرقة حرير، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن يكن هذا من عند الله يمضه».

ومنها: أن الصحابة الكرام كانوا يتحرون هداياهم يومها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقربًا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيتحفونه بما يحب في منزل أحب نسائه إليه رضي الله عن الجميع، ومنها: أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عنده فرأته في صورة دحية بن خليفة الكلبي [لحديث فيه أن النبي قال لها: من هذا؟ فقالت: هذا دحية الكلبي]"[1] أ.هـ.

عشر خصائص تذكرها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن نفسها

وفضلّت على بقية أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمور قالت عن نفسها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها: فضلّت على نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت:

١. لم ينكح بكرًا غيري.

(١) تفسير ابن كثير، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٦/ ٤٠٤-٤٠٦).

٢. لم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري.

٣. وأنزل الله برائتي من السماء.

٤. وجاء جبير عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بصورتي من السماء في حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك.

٥. وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نساءه غيري.

٦. وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نساءه غيري.

٧. وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نساءه غيري.

٨. وقبض الله روحه وهو بين سحري ونحري.

٩. ومات بالليلة التي كان يدور عليّ فيها.

١٠. ودفن في بيتي[(١)].

هذه بعض فضائل أمنا العفيفة الطاهرة، وإلا فالحديث عن العظماء يحتاج إلى مجلدات، لا يكفي بالغرض مثل هذه الورقات، ولكن يكفينا أننا زينا ما سطرنا بالثناء على حبيبة الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر بعض فضائلها، وقد أحسن القائل:

ولو كان النساءُ كمن فقدنا *** لفضِّلت النِّساء على الرِّجالِ

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٦٣-٦٤).

وما التَّأنيثُ لاسم الشَّمس عيبٌ *** ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ[1].

العلاقة بين عائشة وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في روايات الشيعة

العلاقة الحسنة بين أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلي بن أبي طالب وزوجته فاطمة وآل البيت وعلاقتهم بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا من كتب الشيعة:

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيت رجلًا كان أحب إلى رسول الله منه، وما رأيت امرأة كانت أحب إلى رسول الله من امرأته»[2].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل علي بن أبي طالب، فقال: «هذا سيد العرب»، فقلت: يا رسول الله ألست سيد العرب؟ قال: «أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»، فقلت: وما السيد؟ قال: «من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي»[3].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ذكر علي عبادة»[4].

---

(١) ديوان المتنبي شرح العكبري (٣/ ١٨)، وأمالي ابن الشجري ت الطناحي (٣/ ٢٤٢)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري (١٥/ ٩٨).

(٢) انظر: أمالي الطوسي (٢٥٤)، وبحار الأنوار، للمجلسي (٣٧/٤٠)، وأعيان الشيعة (١/٣٥٤)، ونفحات الأزهار (١٤/٣٨١).

(٣) بحار الأنوار، للمجلسي (٣٨/ ٩٣).

(٤) بحار الأنوار، للمجلسي (٣٨/١٩٩-٢٠٠).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «زينوا مجالسكم بذكر علي»[(١)].

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "رأيت أبا بكر يكثر النظر إلى وجه علي، فقلت له: يا أبه، أراك تكثر النظر إلى وجه علي؟ فقال: يا بنية، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: النظر إلى وجه علي عبادة"[(٢)].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "لو كان امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة"[(٣)].

وروى عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسوء فقام إليه بعمود فضرب به دماغه، فقتله، فقيل له: هذا من شيعتنا ومن بني الآباء، فقال: هذا سمى جدي قرنان[(٤)]، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل فقتلته"[(٥)].

فبهذا النقل يتبين للقارئ الكريم أن الشيعة متناقضون في كلامهم يقولون: بأن عائشة كانت حاقدة مبغضة للإمام علي وأولاده وزوجته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكتب السنة

---

(١) بحار الأنوار، للمجلسي (٣٨/ ٢٠١).

(٢) بحار الأنوار، للمجلسي (٢٦/ ٢٢٩) (٣٨/ ٢٠١).

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (٢/ ٤٠١).

(٤) قرنان: على وزن سكران، وهو الذي لا غيرة له، قال الأزهري: هذا قول الليث وهو من كلام الحاضرة ولا يعرفه أهل البادية. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي (٢/ ٥٠١).

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (١/ ٥٦٨).

فيها الشيء الكثير من النماذج للعلاقة الحسنة المتبادلة بينهم ولكن اكتفيت بالنقل من كتب القوم لتعرف التناقض.

حكم من سب أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

بينا فيما سبق شيئًا من فضائل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعقيدة أهل السنة تجاه الصحابة الكرام وأمهات المؤمنين وذلك بحبهم وموالاتهم واتباعهم فهم نقلت الدين إلينا ونصر الله بهم الدين، وأن من سبهم سبًا غير قادحٍ في عدالتهم فهو فاسق ومن كفرهم كفر لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح:٢٩]، إذ لا يغتاظ منهم إلا كافر، وقال تعالى مبينًا أنه حبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر والفسوق: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحجرات:٧].

حكم قذفها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بما برأها الله عَزَّوَجَلَّ، وبيان أقوال أهل العلم في ذلك

ومن رمى أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بما برأها الله منه في سورة النور فقد كفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذلك؛ لأنه مكذب بالقرآن لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة النور:١١] إلى قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النور:٢٦]

قال أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: "إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر ولو أن رجلًا سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب"[1].

وقد ساق أبو محمد بن حزم الظاهري رَحِمَهُ اللَّهُ بإسناده إلى هشام بن عمار قال: سمعت مالك بن أنس يقول: من سب أبا بكر وعمر جلد، ومن سب عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟، قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة النور:١٧].

قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل.

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ١٣٥).

قال أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قول مالك ههنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها"[(١)]. أ.هـ.

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي: "وضرب الحد في سب عائشة أم المؤمنين"[(٢)].

وقال أبو الخطَّابِ ابنُ دِحية في أجوبة المسائل: وشَهِد لقول مالك كتابُ الله، فإنَّ الله إذا ذَكَر في القرآن ما نَسَبه إليه المشرِكون سبَّح نفسَه لنفسِه، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [سورة الأنبياء:٢٦]، والله تعالى ذَكَر عائشةَ، فقال: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾ [سورة النور:١٦]، فسبَّح نفْسَه في تنزيهِ عائشةَ، كما سبَّح نفسَه لنفسِه في تنزيهه؛ حكاه القاضي أبو بكر ابن الطيِّب"[(٣)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن قذف عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، ومن سب غيرها من أزواجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كَسَبِّ واحدٍ من الصحابة، والثاني وهو الصحيح: أنه كقذف عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا»، وعلى هذا فإن من سب واحدة من أمهات المؤمنين يكون كافرًا؛ لأن سبها قدحٌ في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ولا سيما فيما يعود على دنس الفراش، وفساد

(١) المحلى، للإمام ابن حزم الظاهري (١٣/ ٥٠٤)، والشفاء، للقاضي عياض(٢/ ٢٦٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧).

(٣) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٢٩).

الأخلاق، فإن هذا من أكبر الجرائم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى هذا فنقول: من سب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أو غيرها من زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يكفر على القول الراجح"[1].

وغير ذلك من الأقوال التي تبين خطر الكلام في الصحابة عمومًا وخطر قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، اقتصرنا على الأقوال المتقدمة حرصًا على الاختصار فما قل وكفى خير مما كثر وألهى، والذي يؤمن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يكفيه دليل واحد من القرآن أو من السنة على براءتها.

أسأل الله الكريم رب العرش الكريم أن يهدي ضال المسلمين وأن يردنا إلى ديننا ردًا جميلًا، وأسأله أن ينفعنا بما قلنا وينفع به من قرأه أو اطلع عليه، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الكرام الأبرار وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٤/ ٤٣٨).

الخاتمة

وفي ختام هذا الكتاب، فإن هذه المقالات المتفرقة يجمعها مقصد واحد، وتنتظمها غاية واحدة، وهي تذكير القلوب بربها جَلَّوَعَلَا، ودلالتها على طريق النجاة، وتنبيهها إلى ما ينفعها في دنياها وآخرتها.

فقد اشتمل هذا الكتاب على جملة من المعاني التي يحتاج إليها كل مسلم؛ من ذكر مختصر لمعتقد أهل السنة والجماعة، وبيان ما يجب على المسلم اعتقاده، وبيان أهمية التسليم للوحيين، والتمسك بالكتاب والسنة، والسير على منهج السلف الصالح، وذكر الأسباب التي تعين العبد على الثبات على دين الله في زمن كثرت فيه الفتن والشبهات.

كما اشتمل على ما يصلح القلوب ويزكي النفوس، من التذكير بمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيم شأن القرآن الكريم، والتوكل عليه سبحانه، والرجاء في رحمته، وعدم القنوط من مغفرته، مع التذكير بحقيقة الدنيا وسرعة زوالها، وأنها دار ممر لا دار مقر.

وفيه كذلك حثٌّ على اغتنام الأوقات والمسارعة إلى الطاعات، فإن الأيام تمضي مسرعة، والليالي تتتابع، والعمر قصير، والسعيد من اغتنم عمره فيما يقربه إلى الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما تضمنت هذه المقالات بعض التنبيهات التربوية التي يحتاج إليها المسلم في حياته، ليكون على بصيرة من أمره، مستمسكًا بدينه، حريصًا على سلامة قلبه وصلاح عمله، مقتديًا في ذلك بهدي الكتاب والسنة وسير السلف الصالح.

والمقصود من هذا الكتاب التذكير لا الإحاطة، والتنبيه لا الاستقصاء؛ فإن القلوب تحتاج بين حين وآخر إلى من يوقظها من غفلتها، ويذكرها بربها عَزَّوَجَلَّ، ويرشدها إلى طريق الهدى.

فحريٌّ بالعبد أن يجعل كتاب الله جلا جلاله إمامه، وسنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طريقه، وأن يعتني بإصلاح قلبه ومحاسبة نفسه، وأن يغتنم ما بقي من عمره؛ فإن ما مضى من الأيام لن يعود، وما بقي منها هو رأس مال العبد في هذه الدنيا.

وأسأل الله الكريم أن يجعل هذه الورقات خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها، وأن يجعلها سببًا في صلاح القلوب، والثبات على الحق، والنجاة يوم يلقاه العبد.

وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله سبحانه وحده، وهو سبحانه أهل الفضل والمنة، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وأسأل الله أن يغفر الزلل، وأن يتجاوز عن التقصير.

كما أسأله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

مقدمة ١
الباب الأول: أصول الهداية والثبات على الدين ٤
متن مختصر في عقيدة أهل السنة والجماعة ٤
التسليم للكتاب والسنة أصل من أصول السلف ١٣
الطريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٧
جُرأة الجاهلين على الوحيين ٢٤
خطوات عملية للثبات على عقيدة السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٣٠
سلسلة وسائل الثبات على دين الله ٤١
(١) تحقيق التوحيد الخالص لله جَلَّ وَعَلَا ٤١
(٢) الصدق مع الله عَزَّ وَجَلَّ ٤٣
(٣) طلبُ العلم الشرعي والتفقه في دين الله على الثقات من أهل العلم ٤٦
(٤) قراءة القرآن وحفظه وتدبره والعمل به ٥١
(٥) الابتعاد عن الشبهات والشهوات ٥٥
(٧) الإكثار من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ٦٠
(٨) المحافظة على الأذكار اليومية (حصن نفسك) ٦٦
(٩) الإكثار من الدعاء لله عَزَّ وَجَلَّ والاستعانة به ٧٢
(١٠) الزهد في الدنيا وزخرفها، ومصاحبة الصالحين ٧٥
الباب الثاني: تزكية القلوب وإصلاح النفوس ٧٨
غذاء القلوب ودواؤها ٧٨

مراقبة الخالق عَزَّوَجَلَّ في الحركات والسكنات ٨٣
التوكل على الله عبادة قلبية ٨٦
الله لطيف بعباده..... ١١٤
مهما عظُم ذنبك فأبشر ١٢٦
اجعل القرآن زادك إلى الآخرة..... ١٣٢
وقفات مع آية (فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)..... ١٣٥
إياك وفاكهة المجالس (الغيبة)..... ١٥٣
لا تنشغل بحطام زائل ١٦٠
حقيقة الدنيا في آية من كتاب الله..... ١٦٢
الخوف من سرعة مرور الأيام والليالي..... ١٧٠
الباب الثالث: اغتنام الأوقات والمسارعة في الطاعات ١٧٧
كيف تستعيد البركة في وقتك؟ وصية عملية..... ١٧٧
المسارعة في الطاعات واجتهاد السلف..... ١٨٦
اغتنام العشر الأخيرة ١٩٤
سرعةُ الأيام واغتنامُ ما بقي من رمضان ٢٠٠
الغاية من عبادة الصيام ٢٠٤
الباب الرابع: مقالات تربوية وتنبيهات ٢٠٦
تنبيهات مهمة لكل كاتب..... ٢٠٦
تمهل قبل أن تكتب..... ٢١٠
سؤال لمن يهنئ النصارى بعيد ميلادهم..... ٢٢١

العلاج سبب للشفاء وتطييب لنفس المريض ٢٢٤
الفرق بين الطبيب والذباب..... ٢٣٠
العفيفة الطاهرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا..... ٢٣٥
الخاتمة ٢٥٨
فهرس الموضوعات ٢٦١

هذا الكتاب مجموعة من المقالات الإيمانية والتربوية التي تعالج قضايا يحتاجها المسلم في حياته، من إصلاح القلب، وتقوية الصلة بالله عَزَّوَجَلَّ، والثبات على منهج الكتاب والسنة، والسير على طريق السلف الصالح.

وقد تناولت هذه المقالات موضوعات متنوعة؛ كأسباب الثبات على الدين، واغتنام الأوقات، والمسارعة في الطاعات، والتحذير من الغفلة والانشغال بزخارف الدنيا، مع التذكير بعظمة القرآن الكريم، وضرورة تعاهد القلب بالمراقبة والذكر والدعاء.

والمقصود منها التذكير والوعظ والإرشاد، بأسلوب مختصر قريب، يوقظ القلب من غفلته، ويحث النفس على اغتنام العمر قبل فواته.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل هذه الكلمات نافعة لقارئها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلها سببًا في إصلاح القلوب والثبات على دينه.